

رباعيات الدراويش

دار صادق للنشر

دكتور / محيي الدين أحمد فريد

رباعيات الدراويش

دار صادق للنشر
ص. ب. ١٢٠ سيدى جابر
الإسكندرية

□ رقم الإيداع بدار الكتب القومية: ٢٣٧٨ / ٩٤
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 5337 - 08 - 9

□ الطبعة الأولى: يناير ١٩٩٤

المحتويـــــات

أعجبت كثيرا بالمعانى الروحية التى تنبعث من شعر «مولانا» أو سيدنا جلال الدين الرومى. الشاعر الصوفى الكبير الذى عاش فى القرن الثالث عشر (١٢٠٧ - ١٢٧٥ م) فى مدينة قونية التى كانت فى دولة الروم قبل الفتح العثمانى ومنها جاء نعته بالرومى - وسألخص فيما يلى مراحل حياته والأحداث التى أثّرت عليه حتى يأخذ القارىء فكرة عن هذا الشاعر الصوفى العظيم الذى يبعث فى النفس حلاوة الإيمان وجمال الإسلام بما لم يتح لشاعر آخر فى كل الأدب العالمى.

١ - حياة جلال الدين الرومى :

ولد جلال الدين الرومى عام ١٢٠٧ م فى مدينة بلخ من مقاطعة خراسان الفارسية وكانت مدينة مزدهرة يحكمها شاه محمد الخوارزمى وكانت مملكته تمتد من جبال الأورال إلى الخليج الفارسى ومن نهر الهند إلى نهر الفرات. ولقد أخرجت عائلة جلال الدين الكثير من القضاه ورجال الدين ويقال أنه ينحدر من أصل عربى وأن نسبه متصل بسيدنا أبى بكر الصديق أول خليفة فى الإسلام.

وفى عام ١٢١٩ وخوفا مما تعمله جحافل المغول من مذابح وتدمير فإن والده «بهاء الدين ولد» قرر فجأة النزوح إلى بغداد ثم

إلى مكة ثم إلى دمشق ومن دمشق إتجهت العائلة شمالا واستقرت في قرية زراندال بآسيا الصغرى على بعد ٤٠ كم من قونية وفيها تزوج جلال الدين وكان عمره وقتئذ ١٩ عاما وفى عام ١٢٢٦ ولد أول ولد له وسماه «سلطان ولد» ومن هذه القرية نزح والد جلال الدين إلى قونية وكانت عاصمة دولة السلاجقة. ومات هناك عام ١٢٣٠ م. ولقد كان والده رحمه الله من علماء الدين الممتازين وكان خطيبا مبجلا من كل تلامذته ولقد قدّره حاكم البلاد واتخذه مرشدا روحيا له. وهكذا نشأ جلال الدين فى بيئة متدينة مرموقة.

وبعد موت والده وصل إلى قونية عالم جليل كان تلميذا قديما لوالد جلال الدين وكان يدعى بهاء الدين محقق من بلدة ترميذ وقد إستضافه الوالد قبل موته وهكذا تعرف جلال الدين وعمره ٢٥ على هذا الرجل الصوفى الذى جعل جلال الدين يشتعل حماسا لمعتقدات الصوفية وطرقها - وخلال العشرة سنين الأولى من هذا الاتصال جاهد جلال الدين نفسه وبمعاونة مرشده الروحى الجديد (بهاء الدين محقق) أمكنه أن يتنقل فى تطهير نفسه وارتقائها من مقام إلى مقام وبعد موت بهاء الدين عام ١٢٤٠ خلّف جلال الدين شيخه بهاء الدين وخطى أول خطوة فى تنظيم أخوة من المريدين الذين إنجذبوا إليه لصفاء روحه ولشخصيته الملتهبة حماسا واستغراقا فى حب الله.

ويحدثنا إبنه سلطان ولد أن حياته بعد أن صار شيخا مرت بثلاث مراحل وكل واحدة كانت مقترنة بصداقة وأخوة حميمة مع أحد العارفين بالله الذى تنبعث منه ضياء المحبه والإخلاص لله حتى

أن المحب لله إذا رأى نفسه فى هذا الضياء فإنه ليتحقق أنه وحبيبه ليسا إثنين بل واحد.

ففى عام ١٢٤٢ وصل لقونية أحد الصوفيين الرحالة وكان اسمه شمس الدين تبريزى ورأى فيه الشيخ جلال الرومى صورة كاملة لحبيب الله فاستضافه فى منزله وبقى معه لا يفترق عنه وعن الحديث معه واتخذه مرشدا روحيا له فى سلوك طريق الله والرغبة إليه – ويقال أن مريدى جلال الدين تضايقوا من هذا الغريب الذى استحوذ على روح مرشدهم الذى انقطع عنهم ولم يعد يلقى بدروسه عليهم وبدأوا يقذفونه ويقذفون شمس الدين بالسباب ويهددونهما باستعمال العنف وكانت نتيجة ذلك أن نزح شمس الدين فجأة إلى دمشق ولما علم جلال الدين بذلك إنهارت قواه وحزن حزنا شديدا فأرجعه إبنه سلطان ولد بعد قليل من دمشق وما أن رجع شمس الدين لصفيه حتى بدأت فورات الغيرة بين مريدى جلال الدين واضطر شمس الدين أن يهاجر إلى دمشق مرة أخرى وللمرة الثانية نجح سلطان ولد فى إرجاعه لقونية ولكن فى عام ١٢٧٤ اختفى هذا الرجل الصوفى العارف بالله ولم يترك وراءه أى أثر. وأصيب جلال الدين من جراء هذا الفراق بنوبة عاطفية جعلته يقول الشعر فبعد أن كان مفتيا أصبح شاعرا وبعد أن كان زاهدا أصبح متفانيا فى حب الله لا يكف عن الذكر ولا يستريح لا بالليل ولا بالنهار مستغرقا فى رقصه التوقيعى على نغمات الناى الحالمة الحزينة.

وفى عام ١٢٥٢ اتخذ من عارف آخر بالله اسمه صلاح الدين

فريدون زركوب صفيا له ووكل إليه تدريب مريديه بعد موت صلاح الدين فى عام ١٢٦١ اتخذ صفيا آخرا فى شخص حسام الدين حسن بن محمد بن حسن إبن أخى ترك وفى صحبته تفجرت شاعريته وأخرج للعالم شعره الخالد فى كتابه «المثنوى» وكان يسميه كتاب حسام ويقول عن نفسه أنه ناى فى شفاه حسام الدين يخرج منه تطلعات نفسه للفناء فى حب الله وقد عمل حسام الدين كخليفة له فى العشرة سنين الأخيرة من حياته ودأب على تدريب المريدين على طريقة المولوية «نسبة إلى مولانا جلال الدين الرومى» المعروفة أيضا بطريقة الدراويش والتى يصاحب الذكر فيها نغمات الناى والتى تؤهل السالكين طريق الله للإرتقاء بالنفس من مقام إلى مقام للوصول إلى النفس الكاملة حتى تفوز من الخالق بالرضى الأوفى والخلود فى جنته تعالى مع أولياء الله الصالحين.

٢ – صوفية جلال الدين وأشعاره :

إن صوفية جلال الدين بلغت القمة كما عرفنا عنه جهاده مع النفس وفى تدريب السالكين طريق الله حتى تصفو نفوسهم وحتى يدخل الإيمان الحق فى قلوبهم. ولقد نبعت صوفية جلال الدين من عمق تدبره لآيات القرآن الكريم والتخلق بها وبتفانيه فى حب الله والتقرب إليه – فلقد كان يعتقد أن آيات القرآن رمزية وأن لها سبعة معانى ظاهرة وباطنة لا يعرفها كلها إلا الراسخون فى العلم والعارفون بالله – وهذه الصوفية التى جذبت العديد من مريديه : تتلألأ فى أشعاره وقصائده والتى كان لها أكبر الأثر فى محيط الأدب والفكر العربى والغربى. ولقد تمتعت بقراءة كتاب عبد

اللطيف الزبيدى «جلال الدين الرومى – رائد المدارس الأدبية»[1] وقراءة القصائد التى ترجمها العلامة المستشرق رينولد نيكولسون فى كتابه (Rumi Poet and Mystic)[2] والذى يقول فى مقدمته أن الصوفية عامة مبنية على خمسة مبادىء.

١ – أن الله واحد أحد وهو الخالق المتميز بالصفات والأسماء.

٢ – أن الله سبحانه وتعالى لا يتوقف عن فعل ما يريد وعن البدء والإعادة لكل ما نشاهده فى الكون وأن علمه وسع كل شىء عبر الزمان والمكان.

٣ – أن الله سبحانه وتعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأن كل مظهر أو شىء فى الكون مخلوق بأمره.

٤ – أن حقيقة الله لا يمكن معرفتها وهو تعالى يُعرف لنا بأسمائه الحسنى وصفاته التى تتضمنها هذه الأسماء والتى أحاط بها القرآن المجيد.

٥ – أن سبب خلق الكون وفيه الجن والإنس هو ليعرفوا خالقهم «وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون». وأن الانسان الكامل الذى يتمثل فى روح سيدنا محمد ﷺ هو أحسن ما يعكس نور الله وعلمه وهو الذى نزل نوره فى سلسلة الأنبياء والمرسلين

---

(١) جلال الدين الرومى، رائد المدارس الأدبية، تأليف عبد اللطيف الزبيدى، «مطابع البيان التجارية، دبى ١٩٨٦».

(٢) Rumi - Poet and Mystic (1207 - 1275 a.d.), George Allen and Undwin Ltd. London 1950 By Reynold A. Nicholson.

من أول آدم وبعدهم في أولياء الله الصالحين الذين ورثوا النور المحمدي ففيهم ينعكس نور الله وبواسطتهم تهدى الشعوب والأفراد.

ولقد وصف الصوفية الإمام الغزالي «الذي توفي قبل وفاة الرومي بأربعة وستين عاما» في قوله : «بأنها تتم بعلم وعمل وحاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله وتمليته بذكر الله ولقد علمت يقينا أن الصوفيين هم السالكون لطريق الله وسيرتهم هي أحسن السير وطريقتهم هي أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء أو علم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا عن سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا فإن جميع تحركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به – وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحرم في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى»[1].

٣ – شعر جلال الدين الرومي

كتب جلال الدين اشعاره باللغة الفارسية ولجهلي بهذه اللغة

---

(١) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي، تحقيق الدكتور بدوي طبانة، الجزء الأول، دار إحياء الكتب العربية.

فقد اكتفيت بتذوق معانى أشعار جلال الدين من الترجمة الإنجليزية للمستشرق العلامة Reynold A. Nichoison الذى أمكنه أن يترجم للغربيين بعضاً من أعمال الرومى ليقدروا زعامة الرومى التى لا تبارى فى الأدب الصوفى واختار نيكلولسون ١١٩ قصيدة شعرية من أشعار الرومى المدونة فى كتبه المعروفة فاختار ١١١ منها من كتاب «المثنوى» و٦ من كتاب «الديوان» و٢ من كتاب «فيه ما فيه» وترجم هذه القصائد إلى اللغة الإنجليزية فى كتاب[١]. وتعتبر هذه الترجمة أحسن ترجمة للمعانى الزاخرة التى تنبعث من شعر الرومى وتوحى لقارئها بعظمة الخالق ورحمته كما تلهم قلوب السالكين طريق الله بالمعانى الباطنة للقرآن الكريم والتى لا يعلمها إلا الخاص من الخواص إذ أن الرومى كان يعتقد أن آيات القرآن رمزية وأن لها سبعة معانى ظاهرة وباطنة لا يعرفها إلا العارفون بالله، المستغرقون فى حبه وذكره .. ولا شك أن أشعار الرومى كان لها تأثير بالغ فى محيط الأدب والفكر الغربى ولقد وصف الدكتور Johnson الأنجليزى «صاحب القاموس المعروف باسمه» والمشهور بانتقاداته اللاذعة لمعاصريه فلقد قال عن جلال الدين الرومى «أنه يوضح للسالك طريق الله أسرار التوحيد ويكشف الغطاء عن خفايا وأسرار طريق الحق الخالد» ولقد عرفت كتب الرومى فى الغرب بعد أن ترجمت إلى اللغات الغربية ونالت شهرة واسعة – ولقد اهتم مؤخراً بعض الأدباء العرب الذين يجيدون اللغة الفارسية

---

(١) Rumi - Poet and Mystic (1207 - 1275 a.d.), George Allen and Undwin Ltd. London 1950 By Reynold A. Nicholson.

بترجمة بعض أشعار الرومى إلى الشعر العربى - وأهمها كتاب عبد اللطيف الزبيدى[1]. الذى أهداه إلى الشاعر سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم عندما كان وزيرا للدفاع لدولة الأمارات العربية المتحدة - ولقد تمتعت بقراءته والتعرف منه على عبقرية جلال الدين الرومى الذى يصفه بأنه «مدرسة المدارس الأدبية فى التاريخ الأدبى على الصعيد العالمى» ويقول عنه أيضاً «أى شاعر استطاع يا ترى فى كل أرجاء الغرب أن يقول بيتا أو يصرخ صرخة جلال الدين المعروفة (صه، إلى متى أئن؟ فحتى مائة قرن، سيظل هذا العالم يدور على آهاتى ويلف على حسراتى)». وإننا نلمس فى شعر جلال الدين قوة الإنفعال النفسى العاطفى حتى أن القارىء قد يلمس فيه لمحات خاطفة من الجنون المتولد عن التجربة الإلهية كما أنه يلاحظ أن قوة جلال الدين العقلية التى لا تستسلم بالكلية للحماس الروحى الذى قد ينبعث منه شطحات لا يفهمها إلا العارفون بالله فهو يسترجع نفسه فى الوقت المناسب ويشعر أن بعض الأشياء هى فى غاية السرية وغاية القدسية حتى أن الإنسان لا يتمكن من الإفصاح عنها بالكلام ولذلك نرى صوفية أو روحانية جلال الدين ليست عقائدية فى النطاق الضيق ولكنها تجريبية وهو يوجه اهتمامه للقلب أكثر مما يوجهه للعقل حتى يأخذ بيد السالك طريق الله فيجنبه عثرات الطريق ليرتفع بنفسه من مقام إلى مقام حتى يصل إلى مقام الإنسان الكامل. وهذا هو لب الصوفية، أما

---

(١) جلال الدين الرومى، رائد المدارس الأدبية، تأليف عبد اللطيف الزبيدى، «مطابع البيان التجارية دبى - ١٩٨٦»

الطريقة أو المدرسة التى تمارس الطقوس المختلفة فهذه وإن توحدت غاياتها إلا أنها تختلف حسب الثقافات والعادات والتقاليد المتوارثة أما بالنسبة للطريقة المولوية بما فيها من حركات دائرية للبدن أثناء تلاوة الذكر فربما كانت ترمز للكون الدائر أو كأداة لتنبيه الذاكرين وتنشيط قلوبهم ليستوعبوا كلام الله.

لقد قيل عن أشعار الرومى أنه ارتفع فيها بالمعنى وصيَّره شعرا ولم يُطَوِّع المعانى التى تزخر بعقله للزوميات الشعر وبحوره. وأن من يقرأ كتابه المعروف بالمثنوى فإنه يلاحظ أسلوب الرومى المرن الذى يمتاز بالانطلاق والحرية من أى تقيد بالمنطق أو التقاليد اللغوية وكذلك بجسارته فى إستعمال اللغة الدارجة بين أهله ومريديه ووفرة الصور المستخلصة من الأحداث التى تصادف كل إنسان فى حياته اليومية فكأن القارىء يخوض محيطا من الفكر والعواطف بدون خطوط للسير وبدون شواطىء ولا يرى الفواصل بين لب الصوفية وقشور اللغة ولو أن المعانى الباطنة تنساب فى قلبه وتزخر تفاعلاتها فيه فيشعر بوحدة الوجود وبحلول الله فى كل شىء وبالانسجام التام فى الخلق والخليقة ولربما تكون مصاحبة الذكر بصوت الناى وأنينه وبالرقص الدائرى التوقيعى «كالمتبع فى طريقة المولوية» ما يبعث ويركز تلك المعانى الباطنة فى قلب السالك طريق الله. ولقد اتبع الرومى طريقة ذر المعانى ونثرها هنا وهناك فى أشعار القصيدة الواحدة حتى تنبه القلب الواعى ليُكوِّن بنفسه الصورة الكاملة للمعانى وذلك بالإرتطامات الحادثة بين المعانى الزاخرة بالروحانيات.

ولمّا كان مبلغ علم جلال الدين الرومى نابعاً من القرآن والسنة وما تفرع عنهما من علوم الدين، فإننى كنت أبحث عند قراءتى لشعره ما يذكرنى بآية من آيات القرآن أو بحديث للرسول الكريم وكيف أنه كسا المعنى بخياله الفياض بعد أن تدبر الآية بعقله الكبير وفاض قلبه بالنشوة عند استخلاصه لمعانيها الظاهرة والباطنة — ولقد وجدت فى هذه الرياضة العقلية متعة روحية كبيرة وقد كانت هذه المتعة هى التى حفزتنى لفكرة كتابة هذه الرباعيات حتى يشاركنى القراء فى هذه المتعة وفى تقدير هذا العالم الصوفى الذى أغنى شعره الفكر الأدبى فى الشرق والغرب.

ولقد اتبعت طريقة واحدة فى كتابة هذه الرباعيات وذلك بأن أقرأ القصيدة المترجمة للإنجليزية وقد تكون مكتوبة فى عدد من الأشعار يتراوح بين الثمانية والعشرين وكنت أقلب معانيها فى عقلى حتى أعرف لب القصيدة وما يريد جلال الدين أن يبرزه فيها من معانى. وكنت أستعرض هذه المعانى حتى تجذبنى بعض اللآيىء المكنونة فيها فأختارها لصياغة رباعية حولها وربما إقتبست من جلال الدين بعض خياله أو كسوتها بتصور آخر يحمل نفس المعنى. وقد اقتديت بالشاعر فكتبت كل رباعية فى لغة دارجة تعتبر خليطا من العربية الفصحى والعامية المصرية ولم أتقيد بلزوميات الشعر ولكن تقيَّدت بالمعنى الذى اخترته من كل قصيدة والذى أبرزته فى أربع سطور مقفاه فى آخرها وقد أتبعت كل رباعية بتفسير لها حتى أبرز المعنى المقصود وحتى أسجل الآية الكريمة أو الحديث الشريف الذى أتصور أنه كان منبعاً للمعانى التى تفاعلت فى عقل

الشاعر وخياله ففاض بشعره الروحـانى الجميـل.

وقد تبدو هذه الرباعيات للعارفين باللغة الفارسية «القديمة» والتى كتب بها الإمام أشعاره وقصائده أنهـا ليست ترجمـة حرفيـة لشعـره ولا تصورا مطابقا لِمَا جاد به خياله – وعقيدتى أن هـذه الرباعيـات جاءت نتيجة تفاعل المعانى المنبعثة من شعر الإمـام «وكمـا أبرزهـا المستشرق نيكـولسون فى كتابـه» فى خاطـر أحـد المعجبيـن بـه وبفلسفته – فهى ثمرة لالتقاء روحين تحابا فى الله، إحداهما عاشت فى القرن الثـالث عشر والثانيـة تعيش فى القـرن العشريـن – وربمـا يفسر هذا الفارق الـزمنى بينهمـا مـا ورد مـن تفسيـر للمعـانى كمـا تصورتُه نتيجة قراءتى للقرآن الكريم وتفاسيره وكذلك نتيجة قراءتى للعديد من الكتب التى تعالج علوم الديـن والصوفيـة – ولا أريـد أن أزعم أن الشرح الذى أوردتـه تحت كـل رباعيـة هـو الشرح الـذى تهدف إليه الرباعية وللقارىء أن يستخلص المعانى بتأملاته وتجاربـه فى الحياة وهكذا يربط بين هذه التأملات وبين الفهـم الـذى يقدمـه الكتاب.

والله أسأل أن تجـد هـذه الرباعيـات طريقهـا للقلـوب العامـرة بالإيمان وإلى العقول الخاشعة بذكر الرحمـن.

المؤلف

د / محيى الدين أحمد فريـد

١٩٩٤

١ - «حتى أحبه»

بحر السكينة الصافى مالوش حدود فى قلب
إللى اصطفاه ربه
نوره ساطع عليه من فوقه ومن تحته
وجنوده واقفة دايما بجنبه
والرب هاديه فِ أقواله وأفعاله ويوم بعد
يوم يزيده من فضله ومن قربه
شايف جماله فى كل خلقه شاعر بوده
ونفسه مِطَّمِنَه بالوعد «حتى أحبه»

....

شبهِّت السكينة هنا بالبحر الصافى الذى ليس له شواطىء أو حدود مما قد يعوق البصر أو يشغل العقل عن التأمل فى محيطات اللانهائية.

وتخيل الشاعر نوره تعالىَ وهو ساطع على هذا البحر على السطح وفى الأعماق وذلك ليساعد البصر والبصيرة ليرى ويشعر بجنود الله وهى تحرسه وتبعد عنه كل شر.

وهكذا يسير فى طريق الحق ويبارك له المولى كل أقواله وأفعاله ويزيده من فضله ومن قربه.

وإذا ما أنزل الله السكينة فى قلب المؤمن فإنه يرى ببصيرته المتفتحة جمال الخالق وما خلق ويشعر بالإنسجام الكونى فيزداد إيمانا بالله وشعورا بعطفه ووده ورضاه حتى يحبه الله وتطمئن نفسه

بالوعد الذى ذكر فى الحديث القدسى «قال تعالى : وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه».

وتُعتبر السكينة هدفا من أهداف السالكين طريق الله لأن الوصول لها يدل على قدرة السالك فى اتباع طريق الحق وإكتسابه للعزيمة التى تجنبه طريق الباطل وهكذا يتطهر قلبه وعقله من مفاتن الدنيا ويصل بتأمله فى قدرة الخالق إلى عالم الملكوت حيث اللانهائية وحيث التحرر من الزمان والمكان فيشاهد من آيات الله ما يزيده إيمانا.

وفى ذلك يقول الله جل وعلا «هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما» (س ٤٨ / الفتح / آ ٤)

٢ - شِكاياتى من الهجر

عيـــونى م البُعـــد دِبْلت وفَـــرّغِت دمعهـــا
والروح عملت منها لآليها
وبحرقـــة الوجـــد إنكـــوى قلبى ومـــا قـــدِرت
بوصفات الأطبّا وعِلمهم أن أطفّها
شِكايـاتى م الهجـــر غنّتهـــا النـــاس فى قصايدهـــم
ولا اهتموا بحالى ولا فهموا مـا فيهـا
سِمْعِتهـــا الملايكـــه ليلـــة القـــدر وإنسجمـــوا
واتشفعوا لروحى عند خالقها وباريها

....

يريد الشاعر أن يصف لنا الألم والأسى اللذين يعانى منهما نتيجة بُعد روحه عن النور الإلهى الذى كان يغمرها قبل نزولها على الأرض فالروح ترى فى وجودها الأرضى منفى لها فهى غريبة فى هذهِ البيئة التى تضفى عليها عتامة المادية. وهى لذلك لا تتوقف عن البكاء وأنها صنعت من دموعها الغزيرة المنهمرة لآلىء لترصع بها سجنها الذى هو فى قلب الانسان ولتكون رمزا لجهادها للخلاص من هذا السجن وتقديرا لها بين من وصفهم الله جل وعلا فى قوله «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» (س ٢٩ / العنكبوت / آ ٦٩).

والشاعر يعيب على عامة الناس أنهم اتخذوا من قصائده التى اعتصرتها آلام الوجد والشوق إلى ذى الجلال والاكرام من روحه

الثائرة مادة للغناء والطرب ولم يفهموا المعاني التي تنبعث من هذه القصائد ولجهلهم بهذه المعاني فانهم لم يهتموا بمصدرها ولا بحالة الروح المعذبة في جسمه البالي.

ويتخيل الشاعر ان الملائكه سمعت هذه الاغاني في ليلة القدر وادركوا مصدرها وعرفوا أنها لا تصدر إلا عن روح نورانية كانت تعيش معهم في الملكوت الأعلى وأنهم اهتزوا تعاطفا وانسجاما مع معانيها وتشفعوا للروح التي انبعثت منها ليشفيها الله جل وعلا من آلام الفراق والبعد ويمتعها بالقرب والوصال.

والمعروف ان السالك طريق الله ينعم بجلوات نورانية تثبت قلبه على حب الله ولكنه لا يستطيع ان يبقى طويلا في هذه الحالة للاجهاد الذي يحدث في جهازه العصبي الجسماني نتيجة تفريغ الطاقة الروحية المنبعثة من قلبه خلال تلك الجلوات ولذلك فإنه ينتابه بعدها إنقباض وآلام نفسية نابعة من الخوف من هجر الحبيب الذي جعله يتذوق نشوة الوصل والوصال وما عليه إلا أن يصبر على هذه الآلام التي تطهر قلبه وتعده لاستقبال نفحات أخرى كما عليه ان يذكر نِعَم الله عليه وهكذا تنقشع عنه ظلمة الجسم التي تسبب له تلك الآلام ولنذكر قوله تعالى للرسول ﷺ الذي عاني من هذه الآلام لما تأخر عليه الوحي «والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى» (س ٩٣ / الضحى آ ١ – ٣)

٣ - إنّا لله وإنّا إليـه راجعـون

انـــا لله قالوهـــا فى العـــزا واتذكروهـــا بس
لما الموت زارهم وصحّاهـم
وطـول عمرهـم مـا فهمـوا معناهـا وفرقتهـم الــ
«انا» والـ «انت» والإحنا اياهـم
مـا اتذكـروا قبـل المـوت وجهـه البـاقى سبحانـه
ولا تصوروا مصيرهم بعد محياهـم
فى رحمتـه عـاشت كـل الـ «أنـا» ف دنيانـا وفى
نوره اتجمعت كلها لما ناداهـا

....

يعيب الشاعر على الناس أنهم يتذكرون «إنا لله وإنا إليه راجعون» عندما يعزون بعضهم بعضا بعد صدمة الموت والفراق التى أيقظتهم مما هم فيه مـن نـوم ونسيـان وأن الأوْلى لهـم أن يتذكروهـا دائمـا حتى يكونوا فى يقظة دائمة، وفى حديث للرسول ﷺ يقول «تركت لكم بعدى واعظين : القرآن والمـوت»

وفى السطـر الثـانى مـن الرباعيـة يفسر لنـا الشاعـر سبب هــذا الخمول أو النوم الروحى ويعزوه إلى حب الذات أو الأنانية المتمثلة فى «أنا وأنت ونحـن وهـم» والتى تفـرق بيـن النـاس. ولـذلك فهـو يتهم عامة الناس فى أنهم لم يفهموا معنى «إنا لله وإنا إليه راجعـون» ولو كانوا فهموها ما حدث الشقـاق وأهـوال الحـروب والفساد فى الأرض.

وفى السطر الثالث يشير إلى نوم عامة الناس عن التفكير فى ديمومة الله، وفى رهبة يوم الحساب ولا يتصورون أن حياتهم فى الدنيا وفى الآخرة متصلة وأنهم إذا ماتوا تيقظوا وعرفوا عندئذ مصيرهم فى الحياة الآخرة التى وصفها جل وعلا فى قوله « ... وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون.» (س ٢٩ / العنكبوت / آ ٦٤) أى أنها هى الحياة الحقيقية.

وفى السطر الرابع يذكرنا الشاعر بكرم المولى ورحمته على كل البشر بأن أعطاهم كل مقومات الحياة على هذه الأرض مهما اختلفت أديانهم وطبائعهم وسمات الخير والشر فيهم - وأنه سيجمعهم جميعا عنده يوم الحشر وسيحاسب كل فرد على ما قدَّمت يداه فى الدنيا. والشاعر يريد أن يذكر السالك طريق الله بأن يفكر دائما فى مصيره بعد حياته الدنيوية ويتزود للآخرة بطاعة الله وعمل الصالحات.

ومن هذه الرباعية نستخلص أن من خصال السالك طريق الله أن يكون يقظا دائما ذاكرا لله وليوم الحساب ولمصيره فى الآخرة - وقد قال ذو النون المصرى «الصوفى» «أن الرجل العادى يستغفر ويندم على الذنوب التى اقترفها، أما السالكون طريق الله فإنهم يندمون على غفلتهم عن ذكر الله».

٤ - يا نـاى

مِ الأم نزعــوك يــا نــاى ومــا سِمعــوا نحيبك
ولا اهتمّوا
فِضِلْت تبكى الفــــراق بآهـــــاتك حتى دابت
قلوبهم وبعدها حنُّوا
جمَّعْت الأحبَــة يـا نـاى بألحـانك وعـادوا للذكــر
وعل النبى صلُّوا
وغابــوا عــن الــوعى بالدنيــا وطــارت قلوبهــم
م الفرح فين حَلُّوا

....

يُصنع الناى فى العادة من قطعة من الغاب أُنتُزعت من شجرتهـا وفى وسط السطـر الأول نجـد إشارة إلى هـذا النـزع الـذى تسبب عنه الشجن والنحيب - ويتخذ الشاعر من النـاى رمـزاً للـروح التى أُنتزعت مـن الجنـة ولا زالت تتألـم وهى على الأرض تذكـر قربهـا من الحضرة الإلهيـة فى سابـق عهدهـا ومـا كـانت فيـه مـن شعـور بالطمأنينة والسلام والخلود.

ويعبر صوت الناى الحزين عن الآهات المنبعثة من الـروح وهى تبكى وتتحسر على وجـِدها فى المنفى مبتهلة للمـولى أن يخلصهـا من هذا السجن «سجن الجسم» وأنهـا ستبقى ذاكـرة شاكيـة باكيـة حتى يشاركهـا النـاس الذيـن يسمعـون آهاتهـا فى الأسى والدعـاء بالخلاص.

ويتخيل الشاعر أن صوت الناى الحزين والآهات المنبعثة منه جمَّعت قلوب المحبين والمتعاطفين بمالها من قوة روحانية جاذبة وأنهم عادوا لذكر الله والصلاة على رسول الله. وهكذا غابوا عن وعيهم ونبذوا وراءهم أمور الدنيا وطارت أرواحهم وهى تغنى بأعذب الألحان فى حب الله مع تسبيحات الملائكة المرتلة التى تجعل من المكان والزمان اللذين حلَّت فيهما الروح عيدا لها مليئا بالغبطة والرضا.

وتعتبر الموسيقى لغة للعواطف فإذا ما تسامت هذه وعانقت النور فان الموسيقى المنبعثة منها تبعث فى القلب الخشوع والحب والحنين وقد قال الله تعالى «قم الليل إلا قليلا * نصفه أو أنقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا» (س ٧٣ / المزمل / آ ٢ - ٤) والمعلوم أن حلقات الذكر تكون بالليل بعد صلاة العشاء، وكأن صوت الناى الذى ينبعث فى سكون الليل متخللا نغمات الذكر المرتلة هو ذلك الصوت الملائكى الذى يشارك الذاكرين فى تسبيحاتهم وابتهالاتهم.

٥ - لِسْه ما إتولـدوش

ساعـــات أشوف خلايـــق عـــايشة فى الدنيـــا
وأقول فى سِرِّى دول لِسْه ماتولـدوش
عايشيــن فى ضلمــة سجنهــم عالـه على الخلــق لا
فكَّروا فى مصيرهـم فى دنيـا ولا فى
آخره ولا تِعبوش
مقلوبة راسهم راضيين بحالهم لا حاسِّيـن
بالوجود ولا بالغيب اللى ما يتصورهـوش
إمتى يتولدوا يا ترى ويشوفـوا نـوره ويمشوا
فيه طالبين رحمته ولا ينحرفـوش

....

هناك جماعات من البشر تحيى فى الدنيا كالأنعـام لا تعيش إلا لنفسها ويا ليتها تكِدُّ وتعمل فى اكتساب الرزق ولكنها تتطفـل على الناس بل وتحرمهم ثمـرة عملهـم وقـد وصفهـم الله جـل شأنـه فى قوله تعالى «أولئك كالأنعام بل هـم أضل أولئك هـم الغافلـون» (س ٧ / الأعراف / آ ١٧٩) وشبههم الشاعر بالأجنة فى بطون أمهاتهـم يعيشون فى ظلمـة الرحـم متطفليـن على دم الأُم ورأسهـم مقلوبـة ومتجهة إلى الأرض لا يشعرون بالدنيا ولا يتصورون الغيب القـريب الذى ينتظرهم - وكأنى بالشاعر بعد أن وصف حالهم يتحسر على حالهم ويدعو لهم أن يخرجوا من ظلمتهم البصرية والعقلية والنفسية ويبحثوا عن نوره تعالى الخارج من مشكاته عسى أن يتبعـوا شعاعـا منه ليوصلهمْ إلى بر الطمأنينـة والـرضا.

ويريد الشاعر أن يذكرنا أننا فى حياتنا الدنيوية نعيش أيضا كالأجنة إذ لا نتصور الغيب الذى ينتظرنا بعد هذه الحياة الأرضية التى نتطفل فيها على نباتاتها وحيواناتها ولا نتزود من هذه الحياة للغيب الذى ينتظرنا وقد عرّفنا الخالق برسالاته السماوية طريقى الخير والشر وترك لنا حرية الاختيار كما ذكّرنا بالميثاق الذى أخذناه على أنفسنا منذ بدء الخليقة ألاّ نعبد إلا الله وهو الكفيل بتسديد خطانا إلى ما يحب ويرضى.

وربما استوحى الشاعر معاني هذه الرباعية من قوله تعالى «والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» (س ١٦ / النحل / آ ٧٨). فإن الخالق جل وعلا أنعم علينا بالسمع والأبصار والأفئدة فهذه هى الأدوات أو الآليات التى تكون العقل والذكاء. وهذا هو العقل الذى يختار طريقة فى الحياة أما شاكرا وأما كفورا، وفطرة هذا العقل مطبوعة على القنوت لله تعالى، وعلى الإنسان أن يكتشف فطرته بالذكر والتأمل فى كل ما يسمع ويرى ويحس بوجدانه – وهكذا ينفتح له باب الهداية ويسير قدَماً فى نور الله ورحمته.

٦ - الحِلْوّة القديمـة

خـرج مـن الجنـة وذاكراهـا فى عقلـه حلـوة وحيّـة
وعاش بعدها للهَم والأحـزان
وغبـار الزمــن غطّى على عقلـــه وبلـــده الجديـــدة
وكدحه فيها نسّته كل اللى كـان
ولمـا تيجى الـــرسل والانبيـــا ويذكرونـــا بالحلـــوة
القديمة وما كان فيها مـن نعيـم وسلام
ترفـرف قلـــوب اللى عـــاشوا يذكروهـــا ولا يَأثـــر
على إللى ضلَوا فى محيطات الظـلام

....

يذكرنا الشاعر بحياة الانسان «آدم وذريته التى حملها معه من أول الخليقة - والتى كانت تعيش فى صلبه - «أى الجينات التى تحمل كل سلالات الوراثة» فى الجنة وما كان يشعر به من طمأنينة وسلام وأنه منذ خروجه من الجنة وإستقراره على الأرض فهو فى هم وأحزان وخاصة هؤلاء الذين نسوا تلك الحياة الحلوة القديمة وكأن غبار الزمن وكدحهم فى الأرض للنجاة من الجوع والمرض وما تجلبه الأيام من كوارث قد غطى على عقولهم وجعل سدا بينهم وبين ذلك الغيب الماضى.

وكذلك يذكرنا الشاعر أن وظيفة الرسل والأنبياء هى أن يذكرونا بالحياة الحلوة القديمة أى بالجنة التى عشنا فيها سابقا، وأن الذين بقوا يذكرونها وهم المؤمنون بهذا الغيب السحيق يرحبون بالرسل

ويعلمون أن ما أنزل عليهم هو الحق من ربهم وهكذا تفرح قلوبهم وتمتلىء بشرا بقرب الخلاص والعودة إلى رحاب الرحمن الرحيم. وقد وصفهم الله تبارك وتعالى فى قوله «الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» (س ١٠ / يونس / آ ٦٣ و ٦٤).

ويقول الشاعر أن هؤلاء الذين نسوا الحياة الأولى وما كان فيها من تقوى وتسبيح لله الملك القدوس السلام المؤمن فإن الماديات الأرضية غطّت على ذكريات ومشاعر الفطرة فيهم وأصبحت حواسهم كلها حواسا حيوانية لا تؤمن إلا بما تشعر به فلا هى تؤمن بالغيب ولا بما جاءت به الرسل فهؤلاء الناس يعيشون فى ظلام مقيم لا يخرجون منهّ إلا بانتفاضة روحية ترفع عن قلوبهم غشاوات المادة وتريهم طريق النور وجوهرة الفطرة التى أودعها الله فى قلوب البشر منذ أن خلقهم.

والصوفيون يعتبرون أنهم خلقوا مع آدم وعاشوا فى الجنة ثم هبطوا للأرض «مع آدم أيضا» وهم يُعرِّفون الجنة الحقيقية بأنها «الفناء بالكلية فى الله» إذ فى هذه الحال يشعرون بأحلى نعيم وبالحياة الحقيقية — وهذا الشعور هو ما يتذكرونه حيا نابضا فيهم منذ هبطوا للأرض.

٧ – سراجه المنير

شمس دنيانا طَهّرت لنا الميَّة ورفعتها صافية للسماء العالية
وسراجه المنير طهَّر قلوب اللى قاوموا بالعزيمة والصبر مفاتن الدنيا
وأولياؤه الصالحون ورُّونا بالمحبة والقدوه الطريق الموصل لجنة المأوى
يا بخت من سار فى طريقهم وصبر وثابر فى الذكر وعاش فى رحمة المولى

....

يذكر لنا الشاعر أن الشمس التى وصفت فى القرآن الكريم بأنها سراج وهاج، تطهر لنا ولمخلوقات الأرض الماء الملوث بتراب المادة وقاذوراتها وذلك بتبخيره بحرارتها وارتفاع هذا البخار إلى طبقات الجو العليا حيث يتكثف وينزل مطرا مطهرا صافيا من السماء، ويريد الشاعر أن يذكرنا بأن رسولنا المصطفى عليه الصلاة والسلام وقد وصف فى القرآن بأنه سراج منير «وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا» (س ٣٣ / الاحزاب / آ ٤٦) قادر أيضا على تطهير قلوب المتقين بحرارة الايمان ورفع أرواحهم إلى الدرجات العلى حتى إذا ثبت فى قلوبهم حب الله على كل شىء عداه فانهم يرثون نور النبوة وتنزل أرواحهم بين البشر هادية لهم فى كل عصر وجيل فيحيون السنة ومكارم الأخلاق بقدرتهم وبأمواج المحبة والسلام المنبعثة منهم ولقد وصف الأمام البوصيرى مكان هؤلاء الأولياء

من الرسول المصطفى فى قولـه :

فانه شمس فضل هم كواكبهـا يُظْهِرنَ أنوارها للناس فى الظلـم

وأن تواجدهم فى كل عصر والنور الـذى ينـزل معهـم وينتشر بين مريديهم لهو أكبـر دلالـة على رحمة الله بالعباد وحـرصه على ان يعيشوا حياة شريفة طاهرة على هذه الأرض فقد قال تعـالى «وإن من أمة إلا خـلا فيهـا نذيـر» (س ٣٥ / فاطـر / آ ٢٤).

والشاعر يحث الناس أن يسيروا فى مـوكب الهـداة الصالحين، وأن يصبروا ويثابروا فى طريـق الحـق وأن يتذكـروا خالقهـم ونعمـه الكثيرة عليهم وبهذا يفوزون برضاه والسالك طريق الله ينجـذب فى العاده للأمواج الروحية التى تنبعث من أوليـاء الله الصالحيـن وحيث أن هذه الأمواج على درجة عالية من النور الالهى فـان على السالك طريق الله ان يبدأ بمرحلة تحضيرية من العبادات والذكر حتى تصفو روحه وتتعانق الأمواج المنبعثة منـه مـع أنـوار الهـدى المنبعثة مـن أولياء الله الصالحين. ولا يحسبن الانسان إن مجرد انتمائـه لجماعـة أو ترديد ما يقولون أو إتباع ما يفعلون سيُقرِّبه من ضالتـه المنشودة، إن لم يبدأ بتطهير نفسه ومحاسبتها وتكثيف حبه لله وانعكـاس هـذا الحب على أخلاقه وأقواله وأفعالـه.

٨ – حمل الأمانـة

شِلت على ظهـــرى حِمـــل تِقِيـــل وظلمت نفسى
بجهلى من قديم الزمـان
وساعـــات أحس إن ظهـــرى إنكسر مـــن تُقـــل
الأمانة ولا قادر عَلْ الآلام
ونـاس كثيـر خانـوا الأمانـــة واتناسوهـــا بالخمـــر
والكيميا ومنطق الشيطان
ذكـــراك يـــارب تِخَفِّـــف عنى حملى ونـــورك
الهادى يوصلنى لبر الأمـان

....

يذكرنا الشاعر بما جاء فى القرآن الكريم عن الأمانة «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابيـن أن يحملنهـا وأشفقـن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهـولا» (س ٣٣ / الاحـزاب / آ ٧٢) والأمانـة هى العقـل الـذى يمكنـه أن يتصرف فى حيـاة الإنسان أو فى المجتمع فى حدود الطاقـات البشريـة، ولا ننسى أنـه امانه أى لابد أن نعيدها وقد تحقق الغرض من حملها كما لا ننسى أننا بتحملنا هذه الأمانة فاننـا مسئولـون عمـا نفعـل. ولقـد عُـرضَت هـذه الأمانـة على أضخـم المخلوقـات «قبـل خلـق الانسان» وهى السموات والأرض والجبال ولكن هذه فضَّلت أن تؤدى عملها ومـا خلقت له حسب الناموس «أو القوانيـن الإلهيـة» ولا تتحمـل بـذلك أية مسئولية. والإنسان عندما أختار حمل الأمانـة كـان ظالمـا لنفسه لأنه لم يُقَدِّر عظم المسئولية الملقاه، وكان جاهلا بمدى قوة عزيمته

ومدى علمه حتى يحافظ على الميثاق الذى أخذه مع خالقه وحتى يتجنب طريق المهلكات ويعود إلى مولاه فى آخر رحلته الدنيوية بقلب سليم.

والعقل الممثل للأمانة هو مصدر الفكر وهو عبارة عن طاقة أو أمواج غير مادية تعمل على صعيد فوق مستوى المادة ولا يحدها زمان أو مكان وهى تنبعث من جهازين مركبين فى العقل : جهاز للبّث وجهاز للاستقبال فإذا خضع الانسان لخالقه وذكر نِعمه عليه فان الجهازين يبثان ويستقبلان الأمواج الصادرة من الفطرة التى فطرنا الله عليها عند أخذنا الميثاق وهكذا تترجمها أجهزة التنفيذ فى الجسم على صعيد المادة أو على صعيد الفكر إلى أعمال صالحة لخير النفس ولخير البشر ومخلوقات الله وبذلك ترتقى هذه النفس عن طريق الفكر السليم والعمل الصالح إلى مرتبة أعلى فى الروحانية تُهَوِّن عليها حملها للأمانة وتنير طريقها إلى خالقها وهى مطمئنة لعفوه وغفرانه ورحمته – والشاعر هنا لا يريد أن ينسى هذه الأمانة كما فعل الضالون بتعاطيهم للخمر والمخدرات وتقبلهم لوساوس الإنس والجن – وهى كلها تعطل أجهزة الفطرة التى استلمناها وعلينا أن نعيدها سليمة.

٩ - دورة الوجود

كل شيء راجع لأصله مهما طال عليه الزمن
وإتبدلت عليه أقدار
مَيِّة البحر طِلعت بخار للسما ونزلت مطر
علَ الأرض ورجعت تانى للبحار
والروح خلقها سبحانه من روحه يتوفاها ف
الموت وفِ النوم بالليل والنهار
وم التراب إتخلق جسمنا المادى وللتراب
حيعود مهما طالت الاعمار

....

يريد الشاعر أن يذكرنا بالقانون الإلهى أن كل شيء سيعود فى النهاية إلى أصله وحيث أن روح الانسان هى بضعة من روح الله فستعود إلى خالقها مهما طال العمر على هذه الأرض. كما أن الجسم الذى خلق من تراب فانه سيعود إلى التراب فى نهاية المطاف. وأراد الشاعر أن يذكرنا أيضا أن أرواحنا التى تسكن أجسامنا فى حياتنا الأرضية هى فى اتصال دائم مع خالقها أثناء الحياة إذ يقبضها إليه عند النوم بالليل أو بالنهار ثم يعيدها لمن كان له بقية من عمر مصداقا لقوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» (س ٣٩ / الزمر / آ ٤٢).

ومن الآية الكريمة السابقة نرى بوضوح أن فناء الجسد بالموت

وفقدان الشعور عند النوم يوقظان الروح لأنها تكون عندئذ فى قبضة المولى، ولكن فى حالة نومنا تكون متصلة بالجسم بما يسمى بالحبل السرى الذى لا يراه إلا ذوو البصيرة لأنه جزء من الروح. وقد أراد المولى تعالى أن يعطينا فكرة عن الموت وأننا فيه لا نفقد شخصيتنا ونعيش فى الدار الأخرة بحواس غير حواسنا الأرضية - وهي مقابلة لها ولكنها أكثر دقة وحساسية كما ذكر فى الأية الكريمة «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» (س ٥٠ / ق / آ ٢٢).

١٠ – الحب الإلهى

الحب لـولاه مـا كـانت هنـاك عوالـم ولا حيـاة
ولا إنس ولا جـان
ولـولاه لكـانت قلوبنـا جامـدة بـلا رحمـة ولا
أمل وحياتنـا ضلام فى ضلام
مـا حـد يقـدر يقيس الحب ولا عقـل يقـدر يِعَرَّفـه
بالدقة فى شعر أو فى كـلام
دايمـا فى قلـوب العارفيـن مِوَصَّلهـم بنـوره
ورحمته ومبشرهم بالرضا وحسن المقـام

....

إن حب الله للعباد قد سبق حبهم له لأنه هو خالق الحب ولولا هذا الحب الذى فاض به تعالى لما خلقت هـذه العوالـم التى نراهـا أو لا نستطيع رؤياهـا مـن جمـاد ونبـات وحيـوان وإنسان وملائكـة وجان. وهذه كلها تأتمر بارادته وقوانينه التى وضعها لهم. وإذ نفـخ الله بضعة من روحه فى آدم وذريته فانه طبع الحب فى قلب الإنسان بل فى قلوب كل المخلوقات ويكفى أن نـرى الطيـور والحيوانـات حتى المفترسة منها كيف تظهـر الحب والحنـان لشريكـات حياتهـا ولأطفالها الصغار – والشاعر يذكرنا أنه لـولا الحب لكـانت حياتنـا على الأرض لا تطاق فلا أمل ولا رحمة والحب له درجـات ولابـد أن يتطـور الحب فى قلب الانسان على حسب تجاربـه وتأملاتـه وحتى يتسامى بالحب إلى أعلى درجاتـه وهـو حب الله وأن هـدف السالكين طريق الله هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله حتى يصلوا

إلى الفناء بالكلية فى الله ولا يتأتى ذلك إلا بالحب الالهى الذى يجذب السالكين ويشجعهم على المضى قدما نحو الهدف - وحب الانسان للخالق يعتبر أعظم عباده وهو لا يتغير مع الزمن ولا مع الأحداث فإذا وَقر فى القلب السالك طريق الله فإنه ينعم بالأنس والشوق والحنين ويستشعر حب الله له فقد قال رسول الله ﷺ فى حديثه القدسى : «قال تعالى : وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته وإن استعاذنى لأعيذنه» رواه البخارى عن أبى هريرة.

ولابد للسالك أن يعرف أمواج الود والمحبة التى يبثها الخالق للبشر لا تلتقطها إلا القلوب الطاهرة المطهرة. ولذلك كان أول شروط الصوفية هو تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى. فإذا تطهر القلب شعر بقرب الله وبكل مشاعر الصاعدين إلى الحضرة الالهية من أنس وشوق وحنين ووجد وهيام.

١١ - الجمال

كم من ملوك قبّلت أرضاً تهادت عليها تِلكُمُ
الغادة الحسناء
وقلوب نزعت من الصدر نزعا بنظرة حالمة
من وجهها اللألاء
سبحان من أبدعها من تراب مِزاجه شعاع
واحد م ذاك الضياء
فكيف يكون حالى إن حظيت بنظرة لوجهه
الاكرم يوم اللقاء

....

إن الشاعر يرى المرأة ممثلة للجمال ويعتبرها الوسيط الذى يظهر لنا الجمال الالهى ويطلعنا على قدرته فى الابداع والخلق. وفى القرآن الكريم شُبّه الجمال البشرى «فى المرأة أو الرجل» بحور عين أى بذوى العيون الواسعة المتلألئة وذلك أن العين هى العضو الوحيد فى الجسم الذى يُفصح عما بداخله من طهارة النفس والطمأنينة برضا الخالق والخشوع له أو بسوء المخبر والشر .. كما أن جمال العينين يفصح أيضا عن جمال التقاطيع وإنسجامها فى الشكل الخارجى. وقد وصف القرآن الكريم الجمال البشرى فى الآية «وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون» (س ٥٦ / الواقعة /آ ٢٢ و ٢٣) واللؤلؤ المكنون يعبر عن الجمال الخالد «الذى لا تؤثر فيه السنون ولا عوامل الفساد مثل ما يحدث للؤلؤ إذا تعرض للأبخرة والغازات والحوامض» - وقد وصف باللؤلؤ المكنون أيضا

الغلمان الذين يمثلون جمال الصغار ففى القرآن الكريم نقرأ «ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلـؤ مكنـون» (س ٥٢ / الطـور / آ ٢٤) وكلمة «لهم» فى الآيـة تـدل على تفـانى هـؤلاء الغلمـان فى خدمـة المؤمنين والمؤمنات وهكذا فإن كـلا الرجـل والمـرأة يتمتـع برؤيـة هذا الجمال البشرى فى الجنة وخير ما ينعم به أهل الجنة هو رؤيـة وجه الله تعالى خالق الجمال ومبدع الخلق والخليقـة وسمـاع سلام الله الصادر من رب رحيـم.

والجمال موجود فى كل خلـق الله والعارفـون بـالله يـرون هـذا الجمال بالعين الجسدية وبعيـن البصيـرة ويستوحـون مـن تأملاتهـم الروحانية فيما يرونه من جمال قربهم من الله والفنـاء فى ذاتـه. وفى القرآن الكريم نقرأ «الـذى خلـق سبـع سمـاوات طباقـا مـا تـرى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطـور»(س ٦٧ / الملك / آ ٣) فـإن إبـداع الكـون وسعتـه ونظامـه تبعث الخشوع لكمال الخالق وما خلق والتأمل فيـه يفتـح منافـذ الحـواس الروحيـه ويحرك اللسان بالذكر والتسبيح «وكلمة الكمال تعبـر عـن الجمـال المقرون بالجلال».

١٢ - نفخة من روحـه

يـا سابحـا فى جمـال الخلـق شاديـا بـالحب فى
ملكوت ذى العرش العظيـم
هـل عـرفت ان آياتـه فى الخلـق رمـوز تشيـر
لقدرة الخالق البارىء المصوِّر العليمَ
وهـل عكست البصر فـرأيت مـا بداخـل فـؤادك
من سِرِّه الغالى الدفين
هـو نفخـة مـن روحـه فتبـرك بهـا وطهـر مـا
حولها تهديك بنورها طريق السالكيـن.

....

قال تعالى فى كتابه الكريـم «إذ قـال ربك للملائكـة إنى خالـق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين» (س ٣٨ / ص / آ ٧١ و ٧٢) ولقـد أراد الخالـق جـل وعـلا أن يجعل هذا المخلوق خليفته فى الأرض فجعله محبـا للعلـم والتعلـم وحباه بالحياة والقدرة على الاختراع والابتكـار - والشاعـر يذكرنـا أن كل ما نشاهده فى هذا الكون من جمال وإبداع وإنسجـام يـدلْ على قدرته تعالى المتمثلة فى أسمائه الحسنى ومنهـا «الخالـق» : أى الباعث لشيء بالاراده و«البارىء» أى الموجود للذات وفـق التقديـر و«المصور» أى الذى يصور خلقه على ما يريـد مـن صور واشكـال وصفات. وقد حبا الله سبحانه وتعـالى الانسان بدرجـة فوق درجـة الملائكة إذا ما صان الانسان هذه اللطيفة الوحيـدة التى أُودعهـا الله داخل قلبـه وطهـر مـا حولهـا مـن أدران المـادة ووساوس الشيطـان

وحب الذات. وعرف كيف يستفيد من نورها في السير في طريق السالكين.

والشاعر يريد منا أن نجلو هذه اللطيفة الروحية بالتأمل في كل مخلوقات الله فهي كلها تشير الى علمه وحكمته وقدرته، وتواجده ووحدانيته. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة توجه الانسان للتأمل بالعقل والتأمل بالمشاعر والحواس. ومن أمثلة التأمل العقلاني قوله تعالى «إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» (س ٢ / البقرة / آ ١٦٤) ومن أمثلة التأمل بالحواس والمشاعر قوله تعالى «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون» (س ١٦ / النحل / آ ٥ و ٦).

١٣ - قِبلتي وجهك الباقي

سبحان مفرج الهم عند البلا ومِصَبِّر الروح
في دنيا لا فيها راحة ولا بقاء
يا من حجبت عن عقلي سر العوالم وعن
قلبي سر الوقت والغيب والقضاء
كم فقدت طريقي مفتونا بحسي وعقلي ناسيا
روحي تتأسى بقبس من رجاء
أعود إليك ربي تائبا - قبلتي وجهك الباقي
وأملي نظرة رضا يوم اللقاء

....

يذكرنا الشاعر فى أول سطر من الرباعية بدعاء الروح السجينة في الجسد بأن يفرج الله همها ويصبرها على ما تجد فى حياتها الأرضية من تعب وشقاء وعدم استقرار.

وفى السطر الثانى يذكرنا الشاعر أن الخالق جل وعلا وهبنا عقلا ليعيش به الانسان على هذه الأرض كما يمكنه أن يصل به إلى درجة الكمال - وفى الوقت نفسه فإنه تعالى حجب عنا كثيرا من الاسرار مثل طبيعة الروح وسر الوقت وسر القضاء - لأن عقولنا لازالت مرتبطة بالمادية وقوانينها وليست بالروحانية والعلوم اللدنية التى يمكنها أن تزودنا بالمعرفة.

وإن معظم البشر لا يشعرون بالروح التى هى نفخة من روح الله والباعثة للحياة على الأرض وفى السماء فهم مفتونون بعقولهم

وحواسهم الأرضية ناسين هذه الروح قابعة فى سجن الجسم حتى يتحقق رجاؤها بقرب الخلاص بالموت، أو عن طريق تطهير القلب والرغبة فى الله والفناء في أحديته وهو طريق السالكين الذين يرددون قوله تعالى «ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» (س ٢٨ / القصص / آ ٨٨) وهذه الآية الكريمة تذكرنا أن الحقيقة الدائمة التى لا تغير ولا تتبدل بالزمان والمكان والأحداث هي وجه الله الحي القيوم أى روحه التى نحن جميعا بضعة منها - أما العقل وأما المشاعر وما كونته من ذات «الأنا» فينا فهى تتبدل ولا تستقر على حال حتى تستشعر وجود الروح وحتى توثق إتصالها الدائم بها إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا وعندئذ تفوز بالرضا كما ذكر فى القرآن الكريم «يا أيتها النفس المطمئنة * إرجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى *» (س ٨٩ / الفجر / آ ٢٧ - ٣٠).

١٤ - العارف بالله

أسرى الزمـــان وأسرى المكـــان فى انتظـــار
الروح حتى تعود
تمر عليهــم ف الكهــف السنــون تحسبهــم أيقاظــا
وهم فى رقود
والعــارف بربـــه أسيـــر الجسم فى دنيـــاه وروحـــه
تطوف دوما بعرش المجيد
يمــر عليــه الزمــان بأحداثــه وقلبــه حافــظ للسِــر
والناس فى شقاق بعيد

....

يشير السطر الأول والثانى من الرباعية إلى معجزة أهل الكهف المذكورة فى القرآن الكريم والذين مكثوا قرابة ثلاثمائة سنة شمسية وهم وإن بقيت أجسادهم حية أو شبه حية إلا أنهم يُعتبرون أسرى للزمان «الذى احتجزهم ثلاثمائة عام» وأسرى للمكان وهو الكهف اما العارف بالله فان روحه أسيره فى الجسم ولكن ليست أسيره للزمان أو المكان لأنها دائمة الاتصال بالله جل وعلا فى أى وقت وفى أى مكان بما أوتيت من العلوم اللدنية التى يتفضل الله بها على عبادهِ المخلصين وهم لا زالوا أحياءاً يمشون على الأرض كما جاء فى قصة سيدنا موسى مع تابعه فى سفرهم ليلتقوا بسيدنا الخضر «فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علما» (س ١٨ / الكهف / آ ٦٥) وكيف أنه أظهر لسيدنا موسى.إنه بالرغم من أنه رسول الله لكنه لا يستطيع أن يرافقه لأنه

لم يؤت العلم الذى يُعَرِّفُه مسبقا بما سيجرى من الأحداث وكيف يمنع هذه الأحداث المعاكسة للمؤمنين واليتامى والمساكين بما أوتى من رحمة من الله عز وجل. وفى السطر الرابع من الرباعية ذِكرٌ لما يتصف به العارف بربه إذ أنه بالرغم مما أوتى من العلم اللدنى فهو حافظ للسر مؤدى لواجباته فى توصيل رحمة الله إلى ما ارتضى المولى من عباده فى خشوع كامل وبعيد عن وسائل الاعلام وعن أقاويل الناس الذين لا يعرفون عن الأحداث إلا ظاهرها ولا يرون حكمة الله فيما قضى وقدّر وهم لذلك فى شقاق وجدال وصراع لا ينقطع. وأن رسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه أُوتى من الله ذِكراً «كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا» (س ٢٠ / طه / آ ٩٩) والذكر هو القرآن الكريم الذى أحاط بكل شيء والذى يعطى نفحاته الكريمة لكل من طهر قلبه وتفانى فى حب الله فاولئك العارفون بالله والذين وصفوا فى القرآن فى قوله تعالى «وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربّنا مع القوم الصالحين» (س ٥ / المائدة / آ ٨٣ و ٨٤).

١٥ - وحدة الروح

نفخـــة مــــن روحــــه جعلت م التـــراب آدم
وبعدها انسابت في ذراريه
ونفحـة مـن كرمـه خلّت الملايكــة تسجـد لآدم
ومن أسمائه الحسنى أعطاه كل ما فيه
ونَزّلــه على أرض البــلاء ليعــرف ميــن حينكــره
ومين حيذكره فى الدنيا ويستعين به
واللّى آمنــوا حاسّيــن بوحــدة الــروح فى نسل
آدم واللى خانوا العهد فى سراب التيه

....

خُلِق آدم من تراب كالصلصال بعد أن نفخ فيه الخالق جل وعلا نفخة من روحه، وهذه البضعة الروحية انسابت فى نسل آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها وتعود أرواحنا الى خالقها، ولقد أكرم الله آدم بعد أن نفخ فيه «النفخة الالهية» فسجدت الملائكة له وأعطاه المولى كثيرا من صفاته حتى يمكنه أن يُقَدِّر عظمة خالقه وقدرته ورحمته وكرمه. ولما نزل آدم على الأرض – دار البلاء – بعد أن حمل الأمانة وشهد وشهدت ذريته المستقبلة كلها على ربوبية الذى خلقهم كما ذكر فى الآية الكريمة «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» (س ٧ / الأعراف / آ ١٧٢) فان الذين آمنوا وتذكروا هذه الشهادة «أو ذلك الميثاق» قاوموا مفاتن النفس وارتفعوا بها إلى الدرجة

العليا «النفس الكاملة» وقدّروا هذه البضعة الألهية الكامنة فيها وتفانوا فى حبها فانهم يشعرون بوحدة الروح البشرية وطهارتها «بل وبامكانية الاتصال والتخاطب مع كل البشر الأحياء منهم والأموات»، كما أنهم يشعرون بتواجد الفطرة السليمة فيها التى تُجَنِّب النفس السالكة طريق الله والذاكره له طريق الشر وتهديه إلى العباده والاستغراق فى حب الله.

أما النفوس التى تناست الخالق وتناست الميثاق فقد غطوا بأنانيتهم وحبهم للدنيا على ما بداخل قلوبهم من جوهرة الروح الطاهرة والفطرة السليمة وانصاعوا لشهواتهم وما تمليه عليهم شياطين الأنس والجن فهم تائهون فى صحراء حياتهم يتبعون سراب عقولهم الضالة فقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم كما ذكر فى القرآن الكريم «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون» (س ٥٩ / الحشر / آ ١٩) فإن من نسى الله فانه قد نسى مصدر حياته ونسى الحقيقة الوحيدة والحق الأوحد فلا يمكن للنفس بعد ذلك أن تهتدى ولا تتمكن من استقبال الأمواج الروحية الخيرة الصادرة من الرسل وأولياء الله الصالحين.

١٦ - طريق السالكين

أُطلب لجسمك طبيبــــا حاذقــــا إن أصيبت فى
الدنيا بحادثة أو بـداءِ
وأطلب لآخـرتك وليــا صالحــا يهــديك الطريــق
ذا حكمة ونور وصفـاء
فطريـق السالكيــن صعب لمــن لــم يــذق طعــم
الصبر فى الحب حتى الفنـاء
وهــو هــدّام لكــل نفس مــريضة ترعــرعت فى
الإثم والكذب وحياة الريـاء

....

رُوى أن الـرسول ﷺ كان يعود مـريضا اشتـد عليـه المـرض فسأل من حوله «أما استدعيتم طبيبا» فقال أحدهم «أو يفيد الطبيب» فاجاب الـرسول ﷺ «إن الله لـم ينـزل داءاً إلا أنـزل لـه شفـاءاً» أو «دواءاً» فابحثوا على من يعلمـه «فسالـه أحدهـم» أيدفـع هـذا القـدر «فاجاب» «إن البحث عن الدواء هو القدر» - «ولقـد قيـل أن العلـم علمان» «علم الابدان وعلم الأديان» وإذا كان الطب مكلّفاً بإصلاح البدن فان الدين مكلف بعلاج القلوب وحفظها فى إتصال دائم مع مصدر الحكمـة والنـور - وإصلاح البـدن بـدون إصلاح القلب لا ينفع.

كما يحتاج الانسان للطبيب المجرب لاصلاح بدنه فانه يحتاج إلى ولىٍّ صالح ذى حكمة ونـور وصفـاء ليهديه طريـق السالكيـن.

والشاعر يريد أن يعرفنا أن هذا الطريق صعب ويحتاج إلى عزيمة وصبر واتجاه كلي واستغراق في حب الله حتى تفنى في الانسان الأنانية وتصفو روحه وتصير كالمرآة عاكسة لنور الله جل وعلا ولا يمكن لذوي النفوس المريضة والعزيمة الخائرة أن يسيروا في هذا الطريق المشحون بالنور الإلهي فإن قوة هذا النور من الدرجة بمكان بحيث لا يتحملها إلا من قاوم بالعزيمة هوى النفس وأما النفوس المريضة التي يصفها الشاعر بأنها ترعرعت في الإثم والكذب وعاش أصحابها حياة كلها رياء ونفاق فانهم يصعقون بهذا النور الإلهي.

وطريق السالكين يبدأ بخشية الله واتقاء غضبه ثم باتباع أوامر الخالق واجتناب ما نهى عنه كما جاء في القرآن الكريم، إذ قال تعالى : «آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» (س ٢ / البقرة / آ ١ — ٣)

فاذا ما سار السالك في طريق الله بعض الشيء تبدأ مواهبه وحواسه الروحيه تتفتح وتبصر جمال الخليقة وإبداع الخالق في كل ما خلق ويشعر برحمته التي وسعت كل شيء وعندئذ ينعم السالك بالشعور بالحب الطاهر المطهر لله ولا يلبث أن يستأثر هذا الحب بكل مشاعره فلا يطمع في الدنيا في شيء سواه حتى يصل إلى المقام المحمود.

١٧ - فهل أنت من المخاطرين؟

إن حمّلت البضاعـــة على مـــركب تبغى التجـــارة
والربح فهل أنت من المخاطريـن
فـــأنت لا تعـــرف أى القضاءيـــن سيحِـــل أتغـــرق
المركب أم تصل للبر الأميـن
ولكنك تعـــرف بالغريـــزة أن بـــدون الأمـــل
وبدون العمل فأنت من القاعدين الخاسريـن
فهـــل جعلت غـــايتك الكبـــرى ابتغـــاء الـــرضا م
الرب وسرت فى طريق الحق مـع السالكيـن

....

كل إنسان يأمل فى الربح وكل ما يسعى بما قُدِّر لـه مـن طاقـة وذكـاء للـوصول إلى تحقيـق الهـدف ولابـد فى هـذا السعى مـن المخاطرات ومن الأمـل والعمـل المتواصليـن وذلك لأن الانسان لا يعرف الغيب ولا يمكن أن يحتاط لكـل المقـدرات.

والشاعر يوصى الانسان بأن يجعل الايمـان بـالله أمـلا منيـرا فى قلبه وأن يثبت هذا الايمان بالأعمال الصالحة وبتقوى الله حق تقاتـه – وهدفه فى ذلك سعادة الدارين. فإذا خلصت النية ووقـر الأيمـان فى قلب الانسان فان المولى يهديه سبيـل الـرشاد ويسبب الأسبـاب التى تجعله ينجـذب إلى طريـق السالكيـن إذ يقـول تعـالى «والذيـن جاهـدوا فينـا لنهدينهـم سبلنـا وإن الله لمـع المحسنيـن» (س ٢٩ / العنكبـوت / آ ٦٩) ولنتأمـل فى كلمتى «جاهـدوا فينـا» أى جهـاد

النفس وقوى الشر ونحن راغبون فى الله. متجهون إليه بكليتنا واثقون فى أن وعده الحق «وَعْدَ الله حقا ومن أصدق من الله قيلا» (س ٤ / النساء / آ ١٢٢).

ولا يعتبر السائر على الصراط المستقيم مخاطرا فان هذا الطريق محفوف بالملائكة ومبارك فيه من قبل الخالق فمهما حدث للانسان فيه فهو من عند الله فاما مغفرة من الله مصحوبة بكرمه تعالى فى الاخرة كما ذكر فى القرآن «قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين» (س ٣٦ / يَس / آ ٢٦ و ٢٧) واما مغفرة مصحوبة بفضل من الله فى الدنيا كما قال تعالى «والله يعدهم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم» (س ٢ / البقرة / آ ٢٦٨).

وبضاعة السالك طريق الله التى يمكنه أن يبيعها لله جل وعلا هى نفسه وكلما زادت طهرا وعلت روحانيتها كلما استحسنها الخالق وأجزل لها العطاء ولا مجال هنا ولا محل للمخاطرة لأن البيع قد حصل والربح مضمون وفى ذلك يقول أصدق القائلين «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد» (س ٢ / البقرة / آ ٢٠٧).

١٨ - ما فقد الأمل

ساقــوه أمامهــم نحــو الجحيــم بالمقامــع
والسلاسل والشتائم والوعيد
صحيفتــه سوده مليانــه بالإثــم والعصيــان
والفساد والضلال البعيد
خطــف نظــرة وراه ودموعــه تسيــل م النــدم
وف قلبه قبس من أمل جديد
نــادى الإلــه «اتركــوه» عفــوت عــن ذنوبــه كلهــا
لأنه ما فقد الأمل فى كرم الحميد

....

إن الله سبحانه وتعالى رب القلوب والمطلع على أسرار النفس البشرية وقد يكون الإنسان غارقا فى الإثم والضلال ولكن فى الوقت نفسه يمتاز بطاعة الوالدين ورحمتهم أو بإخلاصه لأصدقائه وإغاثة المحتاج منهم أو بحرصه على تربية أولاده تربية صالحه. وقد ينسى ذكر الله فى أوقات كثيرة فيهبط مع نفسه الأمارة بالسوء إلى أسفل سافلين ولكنه يعود ليندم ويعاود الذكر بين حين وآخر حتى يقع فريسة مرة ثانية لنفسه الأمارة بالسوء - ومن القصة يمكننا أن نتخيل أن هذا الانسان بالرغم من مساوئه فقد كانت له حسنات وأهمها أنه كان دائم الأمل فى غفران الحميدً الكريم.

ولقد أراد المولى أن يختبره آخر اختبار حتى بعد أن أُدين يوم الحساب وسُحِبَ إلى الجحيم فوجد أن قلبه لا زال عالقا بالأمل

في كرم الحبيب الذى وصف نفسه تعالى فى قوله «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم» (س ٣٩ / الزمر / آ ٥٣).

والشاعر يريد أن يذكر أن السالك طريق الله يزداد مع الأيام خشوعا لله وأملا فى رضاه ولا يمضى يوم حتى يكون قد عمل عملا صالحا لعائلته أو لعشيرته أو لبنى وطنه - وإذا كانت رحمة الله سبقت غضبه فى مثل ذلك العاص المذكور أعلاه، فكيف تكون إذاً للسالك طريقه المتبع لأوامره والآمل فى رضاه.

ويلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أعفاه من ذنوبه وهذا الإعفاء يعتبر أول درجة من درجات رحمته يتبعها الغفران بعد التوبة والندم وصالح الأعمال وحتى فى حالة الغفران فإن الذنوب التى اقترفها الانسان لا زالت عالقه به ومسجلة فى كتابه ولكنها مَلغِيَّه والغفران يعتبر الدرجة الثانية من رحمته تعالى فإذا ما أراد الله جل وعلا أن يمحو ذنوبه وكأنها لم تكن فانه تعالى يشمل الإنسان برحمته. وهذه هى الدرجة العليا من الكرم الإلهى. ونقرأ فى القرآن الكريم «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »(س ٢ / البقرة / آ ٢٨٦).

١٩ - أول سِلِّمَه

شبّه المرشد الصوفي بهدهد يطير في النور
ناعما بالرضا وحسن الثواب
وشبّه الضال في الدنيا بخفاش معلق في
ظلمة الكهف بينه وبين النور حجاب
أيها الضال توقف لحظة وتأمل آياته ف
الخلق لتسمع من ضميرك رعد الندم ومُر
الجواب
لو طِلعت أول سِلّمة في طريق الحق نعمت
بعدها بالجذب وفُتِّحت لك الأبواب

....

إن المرشد الصوفي العارف بالله يعيش في نور مولاه ومتعته الذكر والتقرب للخالق جل وعلا ناعما برضاه وحسن ثوابه وهدايته لصالح الأقوال والأفعال وهو محاط دائما بالنفوس الخيرة المجذوبة إلى النور الذى يعكسه – وتشبيهه بالهدهد يشير إلى هدهد سيدنا سليمان الذى انتقد قوم سبأ وعبادتهم للشمس من دون الله كما ذُكر في القرآن الكريم «وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذى يُخرج الخَبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم» (س ٢٧ / النمل / آ ٢٣ و ٢٤ و ٢٥) – وقد شبه الشاعر الانسان الضال بالخفاش الذى ينام معلقا من رجليه بداخل الكهوف المظلمة وتكون رأسه مقلوبة متجهة إلى الأرض

فهو لا يحب النور الطبيعى كما أن الضال لا ينجذب إلى النور الإلهى.

وينصح الشاعر هذا الضال أن يتوقف قليلا «أى يوقف تيارات فكره الضال» ويتأمل آيات الخالق فى نفسه وفى كل ما يحيط به وينصت إلى صوت ضميره الذى يجلجل كالرعد فى قلبه الآثم. طالبا منه أن يندم ويستقيم، موبخا إياه على كل ما اقترفه من ذنوب مذكرا إياه أنه إن اراد الهدى فعليه أن يخطو أول سلمة فى طريق الحق، فانه لو فعل ذلك فان الحق سبحانه وتعالى سيجذبه إلى أعلى وأعلى على درجات السُلَّم حتى يصل إلى رحاب كرمه ورحمته.

وقد ذكر القرآن الكريم «وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» (٩٠ / البلد / آ ١٠ – ١٧). وهناك حكمة تقول «إن أطول طريق يبدأ بخطوة واحدة».

٢٠ - المجاهدة والصبر

الحقيقة مخفيه عل الواحد والمجاهدة مطلوبه
علشان نحس بيها وِ نْجَلّيها
زى الزبدة ف اللبن مخفية فيه وعايزة خضّه
قويه لنفرزها ونصفيها
والنفس ميالة للجسم ومَطالبُه والروح
عايزاها تتطهر قبل ما ترجع لباريها
وسراجنا المنير علّمنا إزاى نِخُض النفس
بالجهاد والصبر والتقى حتى نزكّيها

....

أن عقولنا لا تعرف إلا الظاهر من الاشياء أو من الأحداث التى تمر بالفرد أو بالعالم - ولكن الحقيقة التى تتكون منها هذه الأشياء أو المسببات لهذه الأحداث فاننا لا نعلم عنها شيئا - فمثلا نحن لا نعرف تركيب الذرات والالكترونات وغيرها فى تكوين المادة وكذلك لا يمكننا بعقولنا أن تفسير قضاء الله فينا أو فى العالم.

ونحن إذا تأكدنا بأننا قاصرون عن معرفة الحقيقة والله جل وعلا هو المنفرد بالعلم لأنه هو خالقها، فان الشعور بضآلة علمنا الدنيوى بالنسبة لعلم الخالق يقضى بنا إلى التواضع والقنوت لله والايمان بالغيب.

والشاعر يريد أن يذكرنا أن خشية الله والقنوت له تحتاج إلى جهاد مع النفس الأمّارة وصبر ومثابرة على تربيتها أو خضة قوية

لتُصَفّيها من أدران المادية وحب الذات - وخاصة أن النفس بطبعها الغريزى ميالة للجسم وتسارع فى إرضاء شهواته بدون رادع من دين أو خُلُق. ونحن نعرف أن الطريق طويل للوصول إلى النفس الكامله وقد ذكر أنها تمر فى سبعة مراحل أولها النفس الأمَّارة ثم اللوَّامة والنفس المُلْهَمَة والنفس المطمئنة والنفس الرضيّة والنفس المرضيّة والنفس الصافيه أو الكامله - وجهاد النفس يعتبر الجهاد الأكبر للأنسان على هذه الأرض - وقد علمنا رسول الله ﷺ بالقدوة المثالية طول حياته كيف نصبر وكيف نثابر على جمح أهواء النفس بالاستغفار والتوبه والذكر والقنوت والسير فى طريق الله وبهذا ننعم بصحبة الأخيار فى جنة الأبرار التى أختصها الله لعباده المقربين كما ذكر فى القرآن الكريم «يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى» (س ٨٩ / الفجر / آ ٢٧ - ٣٠).

٢١ - التابع الأعمى

البغبغـــان شايـــف نفسه فى المرايـــة ولا دارى
بِالمُلَقِّن إللى وراها
سامـع كلامـه وفاكـر ان طيـر زيُّـه بيكلمـه
ويناجيه من جُوَّاها
والتابـــع الأعمى شايـــف فى الـــولى نفسه
وفاكر كلامه ترديد لنجواها
لا عارف مين بيوحي للولي من خلف المرايه
ولا فاهم دروسه ولا مغزاها

....

من طرق تعليم الببغاء الكلام استعمال المرآه التى توضع أمامه ويكلمه المدرب من ورائها من غير أن يظهر للطير وهكذا يظن الببغاء أن طيرا مثله يكلمه فيتعلم منه ويردد ما يقوله - وقد شبه الشاعر التابع الأعمى للولي بالببغاء لانه يرى صورته هو فى وجه الولي ولكنه لا يدرى من يوحي للولي فى الدنيا ولا يلتفت إلى توجيهاته وأوامره ويستخف بها ويتبع هواه وما توحى نفسه الأماره بالسوء.

ومثل هذا التابع الأعمى كثير من الناس الذين يريدون اختصار الطريق إلى الله عز وجل ولا يصبرون على مجاهدة النفس وتحمل المكاره ولا يهتمون بتقوية عزيمتهم بالزهد والخشوع والرغبة فى الله ... وهم يظنون أنهم واصلون لله بدون مجهود وقد وصفوا

فى القرآن الكريم فى قوله تعالى «وما يتبع أكثرهم إلا ظنا أن الظن لا يغنى عن الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون» (س ١٠ / يونس / آ ٣٥) وهم إن ذكٌروا بالله ورسله وكتبه فانهم لا يسمعون ولا يبصرون كما ذكر فى القرآن الكريم « ... والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عَلَيْهِم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد» (س ٤١ / فصلت / آ ٤٤). ومن هذا يتضح لنا أن عمى التابع ليس عمى النظر ولكن هو عمى البصيرة التى لا تميز طريق الهدى والفلاح وتنجذب إلى طريق الهوى والضياع.

٢٢ – نفسنا الأمـارة

نفسنـــا الأمـــارة هِيَّـــة نارنـــا وحطبهـــا الحسد
والغيرة والغضب والطمع فى الدنيّات.
هيَّـــه أم لكـــل اصنامنـــا إللِّى قايمـــة على
التفاخر والغيبة والتعالى وحب الذات
مـــن السهـــل تكسيـــر الحجـــارة ولكـــن «اقتلـــوا
أنفسكم» عايزة كل العزيمة والثبـات
والمسيـــرة أولهـــا استغفـــار وتوبـــه وتسبيـــح
بحمده ثم تسديد الخُطى نحو الباقيـات.

....

النفس الأمارة بالسوء التى تشمل النفس الظالمة والباغية والآثمة والضالة والخاسرة هى فى الحقيقة جحيم الأنسان فى الأولى والآخرة ونارها المشتعله تتغذى على الحسد والغيرة وسرعة الغضب والطمع فى دنيات الدنيا، وهى تخلـق الأصنـام البيولوجيـة فى عقـل الأنسان كالأنانية والتفاخر والتعالى والغيبة والنفـاق.

والشاعر يذكرنا أن تكسير أصنام الحجـارة سهـل على الأنسان ولكن نسف هذه الأصنام أو العقد النفسية يحتـاج إلى عزيمـة قويـة وثبات يسندها الحق تعالى بـواسع علمـه وتوجيهـه. وهـذه العزيمـة تتمثـل فى التضحيـة بكـل غـال فى هـذه الدنيـا فى سبيـل رضا الله وإعلاء كلمته – وفى هذا يقول تعالى «ولو أنَّا كتبنا عليهم أن أقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليـل منهـم ولـو أنهـم

فعلوا ما يوعظون بـه لكـان خيـرا لهـم وأشد تثبيتـا» (س ٤ / النساء / آ ٦٦).

ويذكر لنا الشاعر بعد ذلك الخطـوات التي تتخـذ في مجاهـدة النفس وأولها الأستغفار مع التوبـه ثـم تسبيـح بأحديتـه وعظمتـه ثـم صلـوات على النبي الـذى كـان الواسطـه والقـدوة لنـا في إبلاغنـا توجيهات المـولى عـز وجـل – ونلاحـظ أن أوراد الطـرق الصوفيـة تذكرنا كلهـا بهـذه الخطـوات وكلهـا تدعـو لجهـاد النفس وتثبيت العزيمة لتوجيهها لصالح الاعمال حتى تفوز بالرضى الأعلى «ويزيـد الله الذين اهتدوا هدى والباقيـات الصالحـات خيـر عنـد ربك ثوابـا وخيـر مـردا» (س ١٩ / مريـم / آ ٧٦).

والنفس ومركزها القلب هى مصدر العاطفـة التى تحيـل الفكـر إلى عمل ولهذا كان من الواجب أن تكون العواطـف الصادرة عنهـا طاهـرة وراغبـة فى الله، حتى تكـون كـل الاعمـال التى تصدر عـن الأنسان أعمالا صالحة يثاب عليها ويتقرب بهـا إلى خالقـه ومـولاه.

٢٣ - الموت مراية للنفس

إزاى تجابه الموت لما يجى متوقف على ما
عملته فى الدنيا مع النفس وهواها
إن كان الرب هاديك والخير وجهتك رحبت
بيه ففيه خلاص الروح ومحياها
وإن كنت لم تتعظ واتبعت الهوى ونسيت
الذكر فلا تلم إلا نفسك وشقواها
الموت مراية للنفس عليها ينعكس جمال
الرضا الأعلى أو قبح منظرها من سوء
أخراها

....

قال ﷺ «تركت لكم بعدى واعظين القرآن والموت» والموت يعتبر أكبر صدمه للأنسان فى حياته الدنيوية لأن معناه الفراق : فراق الحياة التى عرفها وفراق الأحباب الذين يعزهم وفراق كل الماديات التى جمعها. فإذا أصاب القدر شخصا عزيزا للأنسان فان ذلك يولد عنده شعورا بالتفكير فى الاخرة وتقييم المعاير التى كانت فى الدنيا فيتأكد أن السعاده فى الدنيا ليست فى المال ولا فى السلطة والمركز ولكن فى طمأنينة القلب وهذه لا تتأتى ألا بكبح جماح النف الأمّارة واتباع طريق الحق والتقرب لله بالتوبه والاستغفار وبالذكر وصالح الأعمال. ويصف لنا القرآن الكريم المسيرة يوم الخلود للذين تابوا وأخلصوا لله واتبعوا تعاليمه فى قوله تعالى «هذا ما توعدون به لكل أوَّاب حفيظ * من خشى الرحمن

بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشائون فيها ولدينا مزيد» (س ٥٠ / ق / آ ٣٢ - ٣٥).

وأما الذين لا يتعظون بكلام الله ولا بآياته في الخلق ولا بالموت الذي يصيب الكثير من الناس ثم سيلاقيهم فأنهم سيَرون تفاهة كل ما اكتنزوه من مال أو سلطة وما تمتعوا به من صحبة ذوي الجاه والسلطان الذين ظنوا أنهم شفعاء لهم يوم الحساب - فهؤلاء سيساقون إلى عذاب الهون وقد وصف لنا القرآن الكريم سوء حالهم في قوله تعالى «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءهم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون» (س ٦ / الأنعام / آ ٩٤) وهكذا فان الأنسان يقف وجها لوجه أمام الخالق لا يشفع له قريب أو صاحب ممن أضلوه وفتنوه فهو مسئول كفرد عما اقترف من ذنوب في دنياه.

٢٤ - حُسن الخُلق

حسن الخلـــق يعكس طهـــارة النفس ودايمـــا

يعطرها ويزكِّيها

هُـوَّه مجمـوع الفضائــل كلهـا ويربـط قلـوب

الناس ببعضها بالمحبة ويصفِّيها

هـــوَّه السلام على الأرض بيـــن البشر وبدونـــه

نار ما حد يقدر يطفِّيها

تعلـو الأمـم دايمـا بأخلاقهـا وتهـوى للحضيض

إن فسدت رعيتها وراعيها

....

يصف لنا القرآن الكريم خلق الرسول الكريم فى قوله تعالى «وإنك لعلى خلق عظيم» (س ٦٨ / القلم / آ ٤) وكذلك فى قوله تعالى «فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فظ غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» (س ٣ / آل عمران / آ ١٥٩).

ونقرأ فى أحياء العلوم للغزالى أن بدويا سأل الرسول ﷺ أن يعرف له الدين فأجابه «الدين هو حُسن الخلق» وكان يدعو الرسول دائما هذا الدعاء «اللهم أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق».

إن حسن الخلق يعتبر أعظم هدية من المولى عز وجل لمن تقرب إليه بالذكر والخشوع والعباده. وهو ثمرة التحلى بالفضائل

والرحمة والمحبة والسلام بين عباد الله. وفى القرآن الكريم استعراض للنفس البشرية ففى كل قصص القرآن استعراض لهذه النفس فى مواقفها إزاء قوى الخير المتمثلة فى حسن الخلق وقوى الشر المتمثلة فى سوء الأخلاق - والفوز يكون دائما لقوى الخير مهما طال الزمن ومهما تكتلت قوى الشر وذلك لأن المولى عز وجل يساند قوى الخير ويزيدها قوى كما ذكر القرآن الكريم «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ... » (س ٢١ / الأنبياء / آ ١٨) وحسن الخلق يرتكز على الأمانة والأخلاص والوفاء والسلام والرحمة وهى صفات أودعها الخالق عز وجل فى الوعاء البشرى حتى يعيش المجتمع الأنسانى فى وفاق وأنسجام. وهذه الصفات تحدث الانسجام الروحى بين القلب والعقل فى الانسان وينعكس هذا الانسجام فى أقواله وأفعاله أما إذا دخل الشر القلوب والعقول فانها تصدر أعمالا وأقوالا مخربة مفسدة فيعم الدمار والهلاك.

٢٥ - صحبة الأخيار

أمواج مِ السلام والمحبة خارجه منهم ما تحس
بيها إلا قلوب المتقين
والقريب منهم مجذوب لنورهم فيه نشوه
للروح وجلوه للعقل بنور اليقين
لو اتحرمنا من دُعاهم وصحبتهم اختلى
بنفسنا الأمارة كل شيطان رجيم
وِتْنزُول البركة من حياتنا وضلام اليأس
يركبنا بعد ما كنا فى أحلى نعيم

....

إن البركة التى أنعم الله عز وجل بها على أوليائه الصالحين تبعث من قلوبهم أمواجا روحيه من السلام والمحبه يشعر بها من خشى الله وأراد أن يسلك طريقه، وهذه الأمواج الهادئة الطاهرة تجذبهم وتبعث السكينة فى قلوبهم وهذه بدورها تنير بصائرهم إلى طريق الهدى والفلاح كما أنها تنعش أرواحهم بحلاوة الإيمان واليقين وقد وُصِف الأولياء الصالحون فى القرآن الكريم فى قوله تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا» (س ١٩ / مريم / آ ٩٦) أى سيباركهم بحبه، وبحب المتقين لهم.

والذين يخشون الله وينخرطون فى الطرق الصوفيه الحقه ينجذبون إلى هذه الأمواج الروحيه المنبعثه من الولى أو القطب فى حلقات

الذكر وخلال هذا الذكر يشعرون بالأنسجام الروحى وكأنهم فى الحضرة الالهيه فلا يرون إلا الله فى كل شىء وتعلو أرواحهم للملكوت الأعلى فيشاهدون من آيات الله الكثير مما يثلج قلوبهم ويبشرهم بالنعيم الذى ينتظرهم.

والقرآن الكريم يوضح لنا أن هناك طبقات أو درجات من الأخيار ولكنهم مكلفون جميعا بتذكير الناس بالدار الآخرة «واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار[1]. * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار[2]. * وأنهم عندنا من المصطفين الأخيار * واذكر اسماعيل واليسع[3]. وذا الكِفل وكل من الأخيار * هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الأبواب» (س ٣٨ / ص / آ ٤٥ - ٥٠)

---

(١) أى وهبهم الله القوة الروحية لتنفيذ مشيئة الله وإبلاغ رسالته

(٢) أى كلفناهم بتذكير الناس بالدار الآخرة

(٣) النبى يوسع

٢٦ - الهارب من عزرائيل

جِرى لسيدنا سليمان عشان يسخَّر له الريح
لينقله لبلده حُلوان
لأنه شاف في القدس عزرائيل بيحْلِقْلُه
ويتابعه بالدهشة والأهتمام
فكان له ما أراد وما أن وصل بلده حتى رأى
عزرائيل هناك يقرئه السلام
لأن أمر العلى للملك كان بقبض روحه لا
مطرح ما كان بالقدس ولكن بحلوان

....

قصة الشاعر مشهورة فى عالمنا العربى وتشير إلى إستحالة الفرار من قضاء الله والموت حق على كل حى على هذه الأرض ولكل إنسان أجل ولكل أجل كتاب قال تعالى «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ... » (س ٣ / آل عمران / آ ١٤٥) أى أن عمر الإنسان على هذه الأرض مكتوب عند الله جل جلاله.

والعارف بالله يدير حياته الأرضية كأنه يعيش فيها ابدا وحياته الأخروية كأنه يموت غدا كما أوصانا الرسول الكريم - «أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا». وهو يؤمن فى نفس الوقت بأن الحياتين متصلتان.

والقصة تظهر لنا أن الهارب من عزرائيل لابد أن يكون مفتونا

بالدنيا ولم يتزود لآخرته. وأنه كان جهولا ظلوما فقد أساء لأناس كثيرين ولم يشعر بأى أسى أو رحمة بل ربما تلذذ بتعذيبهم وأكل أموالهم بالحرام - فهذا الشخص سينقل إلى العالم الثانى وينسلخ عن جلده وجسمه الذى احتمى بهما فى حياته الدنيوية وسيقابل ضميره الذى سجل كل سيئاته وسيعيش معه يُكوى بناره ويقاسى من عذابه جزاءا وفاقا لما اقترفه من ذنوب وخالف من ناموس الحب الالهى - فلابد أن يدفع الثمن عذابا مهينا وشقاءا مقيما حتى يلاقى حسابه الأخير يوم الحساب. فمثل هذا الهارب الضال ومن على شاكلته يخافون من مجابهة الموت لأنهم ليس لهم بعده إلا الخزى والعار وسوء المنقلب.

والعارف بالله يعرف أن عمره محدود ويؤمن بتفاهة كل ما يجمع من مفاتن هذه الدنيا من مال وولد وجاه إذ لا يمكن مقارنة هذه برضا مولاه وجزائه الأوفى الذى وعده به فى الاخرة وقد قال تعالى « .. ولدار الاخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون» (س ١٢ / يوسف / آ ١٠٩) وهو عندما يجابه الموت فانه يجابهه بنفس مطمئنة راضية بما عملته فى دنياه ومرضية من باريها الذى هداها إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله بحبه عليهم بحبه وكرمه.

٢٧ - وقت الشَدايدْ

الثمــره تظهــر وتكبــر بعــد مــا تكــون أمهـــا
الزهرة ماتت من زمـان
ورغيـف الخبـز مـا يفيـد جسمنـا بالحيـاه والطاقـة
إلا بعد تكسيره بالأسنـان
والعنب لا يجـــود بخيـــره الا بعـــد عصره
بالمعاصر أو فى الفم راحة للظمـآن
والــروح فى دنيانـــا تظهـــر «وقت الشدايـــدْ»
ودعاها للمولى يوصلنا بر الأمـان

....

يرد الشاعر أن يقـرب إلى أذهاننـا حكمـة بالغـة مـن حكـم الله جل وعلا وهى أن صدمات الحياة الدنيويـة أو «وقت الشدايـدْ» هى التى نشعـر فيهـا بضآلـة قدرتنـا وهى التى تذكرنـا بالخالـق وقدرتــه اللانهائية فى تذليل كل العقبات وفى تخفيـف آلامنـا وأُحزاننـا وفى تحويلها إلى يسر ووئـام.

والشاعر عند ذكـره للثمـرة الناضجـة التى ظهـرت إلى الوجـود بعد أن ماتت أمها الزهرة وإن رغيف الخبز والاعنـاب لا يُكتب لهـا الإدماج فى ماء الحياه فى الانسان الـذى أكرمـه المـولى على بـاقى المخلوقات إلا بعد تفتيتها بالأسنان أو هرسها وعصرها فى المعاصر أو فى الفم – فهو يريد أن يشير إلى أن تحمل المصاعب والصدمات لا تقتصر على الانسان وحده بـل هى عامـه فى جميـع المخلوقـات

وأننا إذا تذكرنا الخالق ودعوناه فى هذه المحن فانه يجعل لنا مخْرجا ويثيبنا على تحمل آلام المحن كما قال تعالى وكررها فى «فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا» (س ٩٤ / الشرح / آ ٥ و ٦).

والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى ودعوته بأن يفرج همنا وغُمتنا يلوذ به المؤمن الذى يسارع فى الخيرات «انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا» (س ٢١ / الأنبياء / آ ٩٠) كما يلوذ به من يفسدون فى الأرض كما قال تعالى «ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا» (س ٧ / الاعراف / آ ٥٦) وهناك فرق بين الشعور بالرغبة فى الله والرهبة فى لقائه وبين الشعور بالخوف من غضبه والطمع فى عفوه ورضاه.

وعلينا أن نذكر أن من حكم المولى جل وعلا أن يختبرنا بين حين وآخر حتى يصقل ارواحنا ويجذبنا إليه ونحن نقرأ «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشّر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون» (س ٢ / البقرة / آ ١٥٤) ولقد أثاب الله جل وعلا نبيه المصطفى عليه أفضل الصلوات والتسليمات بالمعراج واللقاء فى الحضرة الالهية بعد أن صبر على ما فعله الكفار من أهل الطائف وكيف أهانوه بالشتائم والحجارة وكيف افتعل كل هذا فى قلبه العامر بالإيمان وهو يردد «اللهم إن كان بك عليَّ غضب فلك العتبى حتى ترضى».

٢٨ - المسيره نحو الخليل

بأمـره تعـالى جينـا ف الدنيـا وعلينـا رسالـه
وقدّامنا طريقين وعلينا شهـود
واللى اتذكـروا وآمنـوا اختـاروا الطريـق
المستقيم الموصل لرضا الخالق المعبـود
واللى اتكبـروا وعانـدوا المـادة جذبتهـم
لا شاعرين بنوره ولا حاسِّين بالوجـود
فـرق بيـن اللى مـاشي طـالب وجـه الخليـل
ورحمتـه واللى مـاشي أعمى ورجليـه فى
الحديد

....

يذكرنا الشاعر فى السطر الأول بالايه القرآنية «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون» (س ٢٣ / المؤمنون / آ ١١٥) ولقد هدانا الله النجدين «أى طريقى الخير والشر» وترك لنا حرية الأختيار كما وَكل بنا رقباء وشهود.

وفى السطر الثانى يشير الشاعر إلى أن المتقين «أى الذين يخافون الله ويتقون غضبه» يهديهم الله إلى الصراط المستقيم وهو أقصر طريق وهو الذى عبَّدته أقدام الذين أنعم الله عليهم بفضله وهو الموصل لرضا الخالق ورحمته.

وأما المتكبرون المعاندون فانهم يتبعون خطوات الشيطان ولا يفيقون من سكرهم بالدنيا فهؤلاء ليس لهم تلك الحواس الروحيه

التى ترى نور الله فى كل شىء فهم صم عمى ولا يمكن لهم أن يشعروا بالوجود ولا بالرسالة التى كلفهم خالقهم بها فى هذه الحياة. فهم كما وُصفوا فى القرآن الكريم «إنا جعلنا فى اعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون ؛ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون» (س ٣٦ / يس / آ ٨ — ٩).

أما الذين هدوا إلى صراط الحميد فأن وجهتهم دائما النور الصادر من المصور البارىء مستبشرين بوعده ورضوانه ناعمين بطمأنينة النفس وسكينتها يعملون الصالحات رغبة فى الله وحبا له. فهم سائرون نحو الخليل الأعلى — ونذكر قول الرسول الكريم «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله» وقد فسر لنا الأمام الغزالى فى كتابه احياء الدين «أن الخليل هو الذى يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه، إذ لم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله» — وأن أعظم تشريف لسيدنا ابراهيم عليه السلام ما ذكر فى القرآن الكريم « ... واتخذ الله ابراهيم خليلا» (س ٤ / النساء / آ ١٢٥)

٢٩ - التَوكُـــل

خلـق لنـا الـرب إيديـن ورجليـن وعقـل فوقهـم
لنسعى بيها فى أغراض الحيـاه
وان توكلنـا على الله بـدون السعى خالفنـا
امره وعطّلنا اكبر هديه لنا معطـاه
والتوكـل يجى بعـد التفكـر والتمعـن ثـم
تنفيذ ما ارتضينـا رغبةً فى الله
ورسولنـا الكريـم لمـا قـال «اعقلهـا وتوكـل»
أراد تفسير التوكل لنا وما معنـاه

....

قـال تعـالى « ... فـإذا عـزمت فتوكـل على الله إن الله يحب المتوكليـن» (س ٣ / آل عمـران / آ ١٥٩) وهـذا يـدل على أن التوكل يتبع العزم على أداء العمل بعد رويه وتفكيـر - وأداة التنفيـذ هى الجهاز العصبى المحرك لليدين والرجلين - وهـذا الجهـاز بمـا فيه العقل والذكاء يعتبر أعظـم هديـه أنعـم بهـا الله جـل شأنـه على البشر فى الحياة.

والشاعر يريد أن يؤكـد لنـا أن توكلنـا على الله عـز وجـل بعـد ابتدائنا للتنفيذ وسعينا فيه هو ثقة فيه فى أن يبلغنا المراد وهذه الثقـة تبعد عنا الشك والخوف وتجعلنا نـؤدى العمـل بكـل قـوة وإحسان لأنه تعالى يحب المتوكلين ويحب المحسنيـن.

والتوكل بعد العزم - وما دمنا راغبين فى الله - يبعـد عنـا أيضا

شبح الخيبه وعدم الوصول إلى تحقيق الهدف، إذ حتى لو تعثرنا في الطريق ولم نصل إلى ما نصبو إليه فان المتوكل ينسب هذه النتيجه السلبيه إلى حكمة الأله ورحمته لسابق علمه بمجريات الأمور ومسببات الأسباب - وهكذا نرى أن المتوكل على الله يستقبل النتيجه السلبيه بقلب عامر بالإيمان مرددا قوله تعالى « ... فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» (س ٣ / آل عمران / آ ١٧٣).

والمؤمنون حقا يعلمون أنهم ما داموا راغبين فى الله فى معركة الحياه ومتوكلين عليه فان النصر أو الخذلان الظاهر هما فى الحقيقة وجهان للنصر فاما نصر معجل وإما نصر مؤجل وهذا الأخير هو ما اصطلحنا أن نسميه خذلانا لجهلنا بحقائق الأمور - وفى ذلك قال تعالى «إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون» (س ٣ / آل عمران / آ ١٦٠)

٣٠ – الميـــزان

كيـف يكـون العفـاف إذا لـم تكــن للشهــوة في
الأنسان أى أثر
ومـاذا تكـون الشجاعــة إذا لــم يكــن لــلأنسان
عدو يريد الهلاك لنا وكـل شر
وكيــف يكــون الحلْــم إذا لـــم يكـــن للغضب
والتعدى مكـان فى صدور البشر
الخيـــر والشر مخلوقـــان معانـــا فى الدنيـــا «ولا
تطغوا فى الميزان» فيها كل العبر

....

إن كـل الفضائـل يقابلهـا رذائـل – والرذيلـة تكـون كـذلك إذا انحرف الإنسان عن منهج الفطـرة – التى تعتبـر الفضيلـة الأساسيـة التى أودعهـا الخالـق فى الإنسان – فانـه بـذلك يظلـم نفسه ويسيء إليهـا ويجب علي الإنسان أن يـراقب نفسه ويـزن كـل الأمــور فى قوله وعمله ومعاملاته وفى طباعـه وسلوكـه حتى لا يتعـدى حـدود الفضيلة أو العداله مع نفسه ومـع النـاس ومـع البيئة التى يعيش فيهـا – ولن يصل الأنسان إلى هـذا المقـام إلا بالذكـر واتبـاع منهـج الله ووصاياه.

والشاعر هنا يريد أيضا أن يعرفنا أن الله جل وعـلا خلـق الخيـر والشر فى الدنيا حتى يختبرنا ويجـازى كـل نفس بمـا كسبت وقـد قال تعالى « ... ونبلوكـم بـالشر والخيـر فتنـة وإلينـا ترجعـون» (س

٢١ / الأنبياء / آ ٣٥) – وعلى الأنسان أن يسوس حياته فى إطار الفضيلة أو العداله الأساسيه فمثلا يمكنه أن يتمتع بالشهوة الجنسيه فى إطار الزوجيه، والشجاعة تعتبر فضيلة إذا لم تتعدى إطار العداله وتصل إلى حد التهور – كما أن بوادر من غضب تعتبر إيذانا بنفاذ صبر الإنسان وحلمه تعتبر صماما للأمن لتحمى حلم الأنسان – وهكذا يمكن للأنسان أن يعيش فى توازن دقيق مع القوى المحيطه المنظوره وغير المنظوره التى تؤثر على حياتنا على هذه الأرض – وقد قال تعالى «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ...» (س ٥٧ / الحديد / آ ٢٥) كما أوصانا تعالى «ألا تطغوا فى الميزان» (س ٥٥ / الرحمن / آ ٨) والميزان فى الآيتين هو ذلك الذى يحقق القسط أو العداله أو الفضيلة الأساسية.

٣١ - قلبى دليلى

قلبى دليلى مِنَــوَر بصيــرتى ومــورينى الطريــق
اللى لازم اسلكه فى الدنيا
بالفطــره عــرَّفنى سراب العقــل وخداعــه
وبالفطره هدانى ربى للحسنى
هُــوَّه مــلاذى وراحتى وأمنى اِن ثــارت طبيعتى
علىّ أو رِكبتنى أمَّارتى السفلى
الله يعلــم كــم شكرتــه على قلب سليــم نَجــانى
من الشر وهيَّأنى لليسرى

....

القلب يعتبر مركز المشاعر والدوافع ومن صلح قلبه صلح عقله – وإذا صلح القلب والعقل فى الأنسان فقد نال النعمه الكبرى من عند الوهاب. وهُدِى إلى صراط الحميد فلن تؤثر عليه وساوس الشياطين ولا لَمَعَان السراب فى الدنيا الذى يثير فى النفس الطمع فى الكسب الحرام أو اقتراف الذنوب أو مصاحبة الأرذال. وقد أصبح الاعلام ووسائله من أقوى المؤثرات على العقول فهى تقرعها باستمرار سواء كان الغرض منها سلعة تقنى «ولو كانت ليست بالأفضل» أو رأى يخالف رأيك أو جذب ودفع إلى عالم اللهو والخلاعة واللامسئوليه -- ونحن أمام أجهزه الاعلام مثل الخراف التى تساق بما يجذب من دعاياتها إلى شباكها التى توردنا حتفنا وتبعدنا عن ميزان الفضيله ومنهج الله.

ولابد أن يكون إنحراف الخلق والسلوك فى شبابنا فى العصر الحاضر وضيق صدورهم فى سماع كلمة الحق، وقلقهم الناتج عن عدم ثبات أجهزتهم العصبيه هو نتيجة ما تغذى به أجهزة الاعلام عقول الشباب ليلا ونهارا وبدون انقطاع وعدم تواجد الوقت الكافى للتأمل والتفكير والذكر حتى ينمو العقل والقلب فى طمأنينه واتساق وحتى يتحرر العقل من مؤثرات الاعلام ويتطهر القلب من دوافع الرذيلة والآثام - وهكذا يتكشف لشبابنا طريق الحق ويمكنهم أن يقيموا لأنفسهم كل ما يسمعون أو يرون - فلا يدفعهم القلب إلا إلى طريق الله ويجنبهم فى مسار حياتهم تلك الشعب المرجانية التى لا يرونها بالعين المجردة، والتى لا ترى إلا بمنارة القلب الواعى وبصيرة العلم اللدنى. وهذه الشعب الخافيه تمثل طرق الضلال المهلكه.

والله سبحانه وتعالى لا ينتظر منا إلا أن نأتيه يوم القيامه بقلب سليم حتى نفوز برضاه ورضوانه «يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم» (س ٢٦ / الشعراء / آ ٨٨ و ٨٩)

٣٢ - نشوة الروح

الـرسول المصطفى علّمنـا إزّاى نـربى نفوسنـا
بالجهـاد والصبـر وإزاى نراقبهـا بالليـل
والنهار
لأن طريـق الله صعب ففيـه الخـوف والفتـن
والعسر والمرض واجتياز لكل اختبار
لا يقْدَر عليـه ضعيـف العزيمـه فاقـد الصبـر
ضيـق الصدر أو مـن تـرَهَب فى دنيـاه ولاذ
بالفرار
نشوة الـروح تيجى دايمـا مـع الجهـاد فى الحـق
وفعل الصالحات والذكر وصحبة الأخيار

....

أن المثل الأعلى لكل مسلم فى هذه الحياه الأرضيه هو الرسول المصطفى وقد وصفت السيدة عائشه «زوجته» رضى الله عنها خلقه فقالت « - إن خلقه القرآن - » ومن تأدب بحكمة القرآن الكريم فقد وصل الذروه فى الداريـن وصَفِت روحـه فهى تحيى دائمـا فى الحضرة الالهيه وما فى ذلك من نشوه وحبور وقد قال تعـالى «فأمـا الذين أمنوا وعملوا الصالحـات فهـم فى روضة يحبـرون» (س ٣٠ / الروم / آ ١٥) - ولنـا فى حياه الـرسول المصطفى عظـات فانـه لم تهن عزيمته فى إبلاغ الناس الرساله وجاهد أهل السوء بكـل مـا أوتى مـن قـوة، كـل ذلك رغبـة فى الله وتفانيـا فى حبـه وامـلا فى لقائه وقد أدى الرساله حق أدائها - بالرغم من كـل المصاعب التى

قابلته والتى كان يعتبرها اختبارا لاخلاصه ولعزيمته وحلمه وكرمه وتوكله على الله.

ولو درسنا حياه الرسول لوجدنا انه قاسى فى حياته كل الالام التى قد تصيب الإنسان على هذه الأرض ومنها اليتم، والفقر، والجوع والطرد من الوطن وموت الأبناء والبنات والأحباب، والهزيمه فى الحرب واستهزاء أهل الكفر والمرض وآلام الموت. بل والشك فى خيانه الزوجه وقد تَحَمل كل هذه الالام وما أُشتكى من شيء فى حياته إلا من تأخر الوحى مرة عليه. فهو الذى يوصله بالحبيب المتعالى – ولا شك أنه ﷺ كان دائما فى نشوة روحيه ناتجه عن طاعته لاوامر مولاه، وإيمانه بحبه تعالى له وبأهميه الرساله التى كلفه المولى بها.

وقد لخص لنا الشاعر فى ختام الرباعيه الأعمال التى تؤدى إلى نشوة الروح فى تسلسل عكسى جدير بالأمعان فيه فان السالك طريق الله يبدأ بصحبه الأخيار فيختار وليا له ثم يتعلم منه التأمل والذكر حتى يمهد للنفس أن تتهيأ لتوحى بعمل الصالحات رغبة فى الله ثم بالجهاد فى الحق وهو الجهاد المقدس ضد الباطل وهكذا تصل الروح إلى ذروة نشوتها.

٣٣ - معنى الأمانـة

العقـــل خـــدَّاع والنفس أمَّـــارة والطُعْـــم مُغـــرى
والسِنَّاره مخفيَّه
اخترنـا حمـل الأمانـه لجهلنـا ومـا عرفنـا إنهـا
على التقوى وطاعة الله مبنيّـه
ومهمـا اشتغلنـا بكـل قوتنـا فى الدنيـا فـلا فـلاح
حتى تجود علينا المشيئه الإلهيـه
فَوَاصِـل الحمـد والذكـر يـا درويش وافهـــم معنى
الأمانة ولا تُسَمِّيهَا حريَّـه

....

قال تعالى «إنا عرضنا الأمانه على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا» (س ٣٣ / الأحزاب / آ ٧٢) والأمانه تعنى المسئوليه وتعنى الوفاء للميثاق بين الله وذرية آدم.

ولقد أراد الله جل شأنه أن يكون الإنسان خليفته فى الأرض فنفخ فيه من روحه وأورثه بعض الصفات المشتقه من صفاته تعالى مثل المحبه والرحمه والحكمه. حتى يمكننا أن نقاوم هوى النفس ومفاتن الدنيا وحتى يمكننا جميعا أن نعيش فى محبة وتراحم وسلام.

والسطر الأول من الرباعيه يشير إلى الذين تناسوا الميثاق أو العهد الذى أخذته البشريه أمام خالقها أن تعبده وحده ولا تشرك

به أحدا - فهؤلاء ركنوا إلى عقولهم التى لا ترى إلا ظاهر الأشياء وإلى نفوسهم المفتونه بالدنيا والتى لا ترى فيها مصادر الهلاك المخفيه عنهم.

والسطر الثانى يشير إلى أن النفس عندما قبلت أن تحمل الأمانه لم تُقَدِّر عظم المسئوليه الملقاه وفرحت بالحرية والإستقلال العقلى ولم تُقَدِّر ان هذه المسئولية لا يمكن حملها إلا إذا تدربت على عبادة الله وتقواه وذكره وحمده والاستعانه به فى طلب الستر والهدايه والسطر الثالث يشير إلى أن الفلاح فى الدنيا ليس متوقفا فقط على دأبنا فى العمل وقوة عزيمتنا للوصول إلى الهدف - ولكن أن يكون هدف عملنا رغبة فى الله وتقربا لرضاه، وعلى توفيق المولى لنا فيما نهدف إليه وما نبذله من جهد.

وفى السطر الرابع نجد نصيحه من الشاعر إلى رواده أن يواصلوا ذكر الله وحمده حتى تتفتح بصائرهم ويفهموا معنى الأمانة التى أودعها الله فى عقل الانسان فى إطار الفطره حتى يختار طريقه فى الحياه ويكون مسئوولا عن تصرفاته - وأما تلك الحريه التى نسمع طنينها فى عصرنا الحالى وغرضها التحرر من الدين ومن التقاليد بل ومن الآداب فهذه الحريه ليست من الأمانه فى شيء بل هى أعظم خيانه وأحط جهاله.

٣٤ - الباحث عن الكنز

كل واحد بيْدوّر على الكنز وكل واحد قاعد
يفكر ويحلم يا ترى فيه إيه
والحويط فينا جاب الخريطه وماشى مع
السهم بالدقه حتى يوصل إليه
والعارف بربه واجد الكنز فى عقله وفى قلبه
ومنه بيوزع قُرْبَه إليه
الفكر والطمع قتلوا فيلسوفنا والعارف بربه
كل أعماله صادره منه تعالى وإليه

....

معظم البشر مفتونون بالدنيا ويحلمون بالعثور على الكنز فى حياتهم الدنيويه الذى يتمثل فى القناطير المقنطر من الأموال أو الشهره والمجد فى أسرع وقت وبأيه طريقه - والغارقون فى الطمع المادى لا يألون أى جهد للوصول غلى هدفهم غير آبهين بقوانين الأرض ولا بقوانين السماء ومعتمدين على خططهم العقليه ومكرهم الشيطانى وقد وصف القرآن الكريم مكرهم فى الآيه الكريمه «وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وأن كان مكرهم لتزول منه الجبال» (س ١٤ / ابراهيم / آ ٤٦) وأما مصيرهم فقد عبرت عنه الآيه الكريمه «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب» (س ٢٤ / النور / آ ٣٩).

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم يشعرون بان كنزهم هو هداية العقل وسلامة القلب والتوجه فى الحياه بالكليه نحو الله. وهم يوزعون من هذا الكنز على المريدين والمحبين - وهذا الكنز لا يفنى على إنفاق بل يزداد خيرا مع الأيام فى الدنيا، ويحمله العارف بالله فى آخرته حتى يثقل موازينه يوم الحساب ويفوز بالرضا وحسن الثواب.

وهكذا نرى أن كنز الأنسان فى الحياه ليس شيئا خارجا عنه ممثلا فى الأموال والمجد والبنين ولكن هو ما تحمله نفسه من الحكمه التى تزكى الأنسان وتطهره وقد قال تعالى «يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب» (س ٢ / البقرة / آ ٢٦٩).

٣٥ - رحيق الود

عايــز تِبَــرّأ نفسك وتقــول أن ذنــوبك جــاءت
«بالمشيئه» فلا عقاب
ولا عايــز تعتــرف أنهــا مــن وحى عقلك إللى
أفتتن بالدنيا وماشى وراء السراب
لا وجــود فى القلب للكفــر الــلاإرادى وفطــرتك
هيَّه إللى تعرفك الباطل م الصواب
إن شِـرِبْت فى الدنيــا رحيــق الــود مــن كــأسه
اتبلورت إرادتك فى حلاوة الشراب

....

كل إنسان مسئول عما يقترفه من ذنوب فى دنياه، ولقد هدانا الله النجدين : طريق الخير وطريق الشر وترك لنا حريه الأختيار وهيأ للفطره أن تميز بين الطريقين إذا لم يغطِ عليها الإنسان بكبريائه وجحوده وميله لأشباع رغبات الدنيا على حساب نسيان حياة الآخره. فهو مفتون بما تعطيه الدنيا من ألوان المتعه ناسيا قوله تعالى «وللآخرة خير لك من الأولى» (س ٩٣ / الضحى / آ ٤) ومن نسى الله فالله ينساه.

وقد يقول أحدهم أن المشيئه الإلهيه هى التى أوقعته فى الخطأ وأن وقوعه فيه كان قدرا مكتوبا - ولكن الحقيقة أنه هو الذى أوقع نفسه بتناسيه الميثاق وميله لإشباع هوى نفسه الأمّارة بالسوء - والله سبحانه وتعالى يعلم مسبقا بما سيفعل إذ قد أعطاه حريه

الاختيار ولم يجعل الكفر به تعالى مطبوعا فى فطرة الإنسان. وأخبرنا فى قوله تعالى «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى» (س ٥٣ / النجم / آ ٣٩ و ٤٠ و ٤١) كما أخبرنا تعالى أن الفطره الانسانيه مطبوعه على الخير «فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .. » (س ٣٠ / الروم / آ ٣٠)

والسالك طريق الله الذى يسعى إلى الفناء فى طاعته وحبه يرشف رحيق الود من كأس المحبه الإلهيه. فهذا السالك يرى طريق الخير منيرا وممهدا أمامه وتكون إرادته نابعه من رغبته فى رضاء مولاه ومتبلوره فى حلاوة إيمانه وجميل إحسانه وبهذا السلوك يحبه الله فيكون جنديا من جنوده فى الأرض ووليا مقربا منه فى السماء.

٣٦ - طريق الصاعدين

يـاريت تِسِــدْ ودانك عــن كــل مــا تسمعــه فى
دنيا هواك
وتسمـــع ضميـــرك ينصحك باللـيـــن ويحـــذرك
بالشدة من جُوَّاك
وتشوف بعينك نــــوره الحقيقى مش ألـــــوان
قوس قزح إللى جاذباك
وفى طريـــق الصاعديـــن تطلـــع مقـــام مقـــام
ويزداد إيمانك وشوقك لِلىِّ هداك

....

الاذن والعين نافذتان للأنسان على العالم الخارجى فهما تستقبلان أمواجا صوتيه أو ضوئيه غير منظوره قد تـوحى بالخيـر أو بـالشر - والأذن تستقبـل هـذه الأمـواج فى اليقظـه وفى النـوم لانهـا متفتحـه باستمرار أما العين فانها تحتاج للضوء حتى ترى صور الأشياء وهى تتعطل فى الظلام وعند النوم.والشاعر يريد أن يذكر السالكين طريق الله أن يعطلوا آذانهم عند سمـاع فحش الكـلام والدعايـات المثيـره المخالفه للتقاليد والتى توحى بالفجور، ووساوس الإنس والجن وأن يُعَوِّدُوا هذه الآذان على التمييز بيـن مـا يـوحى بالخيـر حتى يزيـدوا منها وما يؤدى إلى الشر فيجتنبوه. ويذكرنا الشاعر ايضا بما تـوحى رؤيا العين مـن خيـر أو شر وهـو ينبهنـا أن العيـن تنخـدع بالألـوان «المتمثله فى قوس قزح الذى يتحلل ليه نور الشمس» وأنها بطبيعتها لا ترى حقائق الأشياء وأنـه لابـد مـن تدريبهـا حتى تعلـو وتتجـاوز

حاستها الحيوانيه إلى حاستها الروحيه فترى نور الله الواحد الأحد.
وتدريب الأذن والعين يحتاج إلى هدوء وسكينه حتى يسمع الإنسان
صوت الضمير «أو صوت الفطرة الممثله للحكمه الالهيه فى الانسان»
وهكذا يمكننا أن نراقب نوافذ العقل ويسدى الضمير نصيحته أو
يحذر النفس من عوامل الشر والفساد .. وبهذا التدريب المقرون
بالذكر والتأمل يرتفع السالك فى طريق الله من مقام إلى مقام وفى
كل منها يرى آيات وإستحضارات لدينه فيزداد إيمانا مع إيمانه
وشوقا إلى لقاء الرحمن الرحيم وهو القائل جل وعلا «هو الذى
أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله
جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما» (س ٤٨ / الفتح
/ آ ٤).

٣٧ - فعل الخير (عمل الصالحات)

العيب تَمَلِّى فينـــــا بس النفس مش شايفـــــاه إلاًّ
فى التانيين
ولــو كشفنـا عنــه فى نفوسنـا هربنـا منهـا قبــل
أن يحل بينا العذاب المهيـن
والحكيــم فينـــا طَهــر النفس بالتقــوى وزكاهـــا
بالصالحات وعطَّرها بحق اليقين
فعـل الخيــر هــوَّه زكــاة حياتنـــا ف الدنيـــا وف
الآخره بطاقة دخولنا جنة النعيـم

....

لقد أراد الله تعالى عند خلقه لآدم وذريته مـن بعـده أن يكونـوا خلفـاء لـه على هـذه الأرض وأن على الإنسان أن يخضع البيئه التى يعيش فيها وقوى الطبيعه بحكمته وعمله وكـل إنسان يمثـل وحـدة عمل فى تنفيذ المشيئه الإلهيـه. وإذا دخـل الإسلام أو الإيمـان قلب الانسان بدون عمل الخير فانه يكون سلبيا وناقصا ولذلك فاننا نقـرأ فى القرآن فى كثير من الآيات الكريمة الأيمان مقرونا بالعمل الصالح مثل قوله تعالى «والذيـن آمنـوا وعملـوا الصالحـات أولئك أصحـاب الجنة هـم فيهـا خالـدون» (س ٢ / البقـرة / آ ٨٢).

والسطران الأولان من الرباعيـه يشيـران إلى بعض النـاس الذيـن لا يعملون الخير وسلبيـون وأعماهـم الضلال والكبريـاء عـن رؤيـه العيب والنقص فى أنفسهـم ولكـن يحبـون انتقـاد الآخريـن وإظهـار

عيوبهم على الملأ ولو ظلما – ونذكر قول الرسول المصطفى فى إحدى خطبه «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وخالط أهل الفقه والحكمه وعاشر أهل الذل والمرحمه – طوبى لمن حسنت سيرته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره» والسطران الثالث والرابع يشيران إلى أن الحكمه الإلهيه التى أودعها الله فى فطرتنا تحفزنا إلى تقوى الله لكسب رضاه وإلى عمل الصالحات حتى يبارك الله حياتنا وأعمالنا ولقد أعطانا الخالق جل شأنه «الحق المطلق» أو «الحق اليقين» فى قرآنه الكريم وأمرنا أن نقرأه على مهل ونتدبر معانيه ونعمل بوصاياه حتى تتعطر نفوسنا وحتى تنفذ آياته البيِّنه إلى أعمق أعماق قلوبنا وهكذا نفوز بالدارين.

رسولنـــا الكريـــم تنبـــأ بالثلاثـــة وسبعيـــن طريقـــه
إللى حتظهر بين المسلمين
وِحَذَّرنـــا أن واحـــده منهـــا هِيّـــه اللى فاهمـــه
الحقيقه والباقى فى زمرة الضالين
وكـــل مـــذهب ضلالى مِـــزَوَّق الواجهـــه ومْكَتَّـــر
الدعايه عنه وطامس نور اليقين
كلهـــا راقـــده فى عقلك لتـــركبك أن نفـــذ صبـــرك
فى اتباع طريق الحق القويم

....

إن عقل الأنسان يعتبر أكمل عضو فينا ويقال اننا نستعمل ١٠٪ فقط من إمكانياته وهذا العقـل لا يريـد أن يجـد ويتعب بـل يختـار في العاده أقصر طريق يظن أنه يوصله لغرضه ولـو أدى إلى تعـريضه للمهـالك – فهـو عجـول بطبعـه وليس عنـده صبـر ليصل فى كـل أعماله إلى درجـة الأحسان.

وهاتان الآفتان اللتان جبل عليها معظم البشر توحيان للعقل دائما الطريق السهل المختصر فيستجيب لما توسوس به نفسه أو المحيطون به فيخترع أو ينخـرط فيمـا شاء مـن مـذاهب وطـرق منحرفـا عـن الطريق المستقيم الذى يحتاج الأنسان للسير فيه إلى مقاومـة النفس الأماره والصبر على ما يلاقيه مـن مكـاره.

وقد قال تعالى «خلـق الأنسان مـن عجـل سأوريكـم آيـاتى فـلا

تستعجلون» (س ٢١ / الأنبياء / آ ٣٧) وهذه العجله ونفاذ الصبر في مجاهدة النفس هما اللذان يحفزان عوامل الشر بأن تطغى على الفكر ولا يلبث الشيطان أن يوحى بتسويق هذه المذاهب على الغافلين بما أوتى من عبقرية فى الكذب ووسائل الجذب والأغراء المختلفه - بل أننا نشاهد بعض الناس يدعون الله أن يعطيهم بعض الأشياء التى من عجلتهم يظنون أنها ستكون خيرا لهم وهى ليست من الخير فى شىء كما ذكر فى القرآن الكريم «ويدع الأنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الأنسان عجولا» (س ١٧ / الأسراء / آ ١١)

وهذه المذاهب أو الطرائق الضاله يستقبلها العقل عن طريق السمع أو البصر وربما لا يعيرها أهمية أول الأمر ولكنها ترقد فى عقله وتنتظر الساعه التى ينفذ فيها صبر السالك للطريق القويم فلا تلبث أن تطغى على فكره ويوسوس له الشيطان أنها توصله للغرض نفسه من التقرب لله بدون مجاهدة للنفس أو إجهاد عقلى أو بدنى وهكذا ينحرف عن الطريق القويم ولأجل أن يحمى الانسان نفسه من هذه المذاهب الضاله فأن عليه أن يصحب خيار الناس ويستمع إلى نصحهم ووصاياهم فى مداومة الصبر على المكاره ومداومة التقرب لله بالأيمان الثابت وبالأعمال الصالحه وبالتواصى بالصبر فى طريق الحق القويم.

٣٩ - الأنسان الكامل

النفس والقلب والعقـــل عطايـــا م الخالــــق
وكلها حاويه قُدره كبيـره وأسرار
ان عِـرفت تسوسهـا للخيـر بفطـرتك سعـــدت فى
الدنيا وفى الآخرة نعم الـدار
فهــل عطرتهـا بالذكـر والحمـد وصفّيت مـا بينهـا
من تطاحن ونفور وشجار
لتصبـح فى دنيـاك إنسانـا كامـلا عارفـا بـالله
مقدراً حكمته فيما جرت به الأقـدار

....

لقد خلقنا المـولى جـل وعـلا فى أحسن تقويـم ووهبنـا النفس والقلب والعقل وفى كـل منهـا طاقـه كبـرى لعمـل الخيـر أو الشر. وارادة الأنسان هى التى تُوجّه تلك الطاقات فـان نبعت مـن فطرتهـا التى أودعها المولى فى كيان الأنسان سارت فى طريق الله وسعدت بالرضا منها ومن خالقها ووصلت إلى مرتبـة الانسان الكامـل الـذى اراد المولى جل شأنـه ان يكـون خليفتـه فى أرضه.

أما إذا اتبـع الأنسان هـواه بارادتـه الشخصيـه فـان هـذه العطايـا الربانيه يصيبها المرض فـلا تستطيـع أن تتغـذى مـن الفطـرة الخيـره الكامنه فيها وتتولد نتيجـه لـذلك مجموعـه مـن الخصال المذمومـه مثل الأنانيه والكبرياء والجشع والكذب والخيانه وهذه كلهـا تغلـف الفطره الخيره بغلاف سميك فلا يصل نورها إلى تلك العطايا الربانيه

التى تتخبط عندئذ فى الحياه وتصل بـالأنسان إلى اسفـل سافليـن.

وحياتنا الأرضيه متوقفه على سلامة إرادتناالمرتبطه بثالوث النفس والقلب والعقل وعلى الأنسان أن يسوسها دائما للخير وأن يحفظهـا من غوايات الشر حتى يفوز بالفلاح فى الدنيا وحسن ثواب الآخره. وطريقه ذلك مداومة ذكر الله وحمـده والأيمـان بالساعـه التى فيهـا تُجزى كل نفس بما سعت. وهكذا يرتفـع ذلك الثالـوث مـن مقـام إلى مقـام حتى يصل إلى أعلى مراتبـه في الإنسان الكامـل - ذى النفس المطمئنه والقلب السليم والعقل الـواعى المتدبـر.

وفى القرآن الكريم إشارة إلى هذه العطايا وأهميه تطهيرها ليفوز الأنسان بالجزاء الأوفى وهى (١) «يأيتهـا النفس المطمئنـة * ارجعى إلى ربك راضيه مرضيـه * فـادخلى فى عبـادى وادخلى جنتى» (س ٨٩ / الفجـر / آ ٢٧ - ٣٠) و (٢) «يـوم لا ينفـع مـال ولا بنـون * إلا مـن أتى الله بقلب سليـم * وأزلفت الجنه للمتقيـن» (س ٢٦ / الشعـراء / آ ٨٨ - ٩٠) و (٣) «وتلك الأمثـال نضربهـا للنـاس ومـا يعقلهـا إلا العالمـون * خلـق الله السمـوات والأرض بالحـق إن فى ذلك لآيـة للمؤمنيـن» (س ٢٩ / العنكبـوت / آ ٤٣ - ٤٤)

٤٠ - السمع والطاعه

سيدنـــا على وَصَفَـــه الـــرسول بانـــه الأسد فى
الحق والفارس المغوار
ونصحـــه ألا يعتمـــد على الشجاعـــه وحدهـــا
ويطلب العون دايما م الواحد القهـار
ويخضع للمشيئه مثـل مـــوسى مـــع الخضر سامـــع
كلامه ولا قادر يفسر الأقـدار
والسمـــع والطاعـــه لا غنى عنهـــا فى صحبـــة
الولى العارف بربه المحيط بـالأسرار

....

انحدرت الصوفيه فى الاسلام من سيرة الرسول ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين وخاصه من سيدنا على كرم الله وجهـه. وقـد وصفه الرسول ﷺ بانه الأسد فى الحق بالنسبـه لشجاعتـه وإقدامـه والتشبيه بالأسد ناتج عن أن الأسد مجلوب بطبيعتـه على الشجاعـه مع الرزانه – وقد نصحه الرسول الكريـم أن يقـرن شجاعتـه بطلب العون والتوفيق من الواحد القهار. وذلك لأن الشجاعـه وحدهـا قـد تؤدى إلى الغرور والتهـور – وفى قصة سيدنـا الخضر المشار إليهـا فى السطر الثالث من الرباعيه ما يذكرنا أيضا بسيدنـا مـوسى الـذى ظن أنه وهو الذى اختاره الله رسولا أنه لابد أن يكون أقـرب النـاس إلى الله وأعلمهم، فأراد الله أن يعرفه بـان أحـد المعاصريـن لـه وقـد أوتى رحمة وعلما لَدُنّيا من الخالق جـل وعـلا وهـو سيدنـا الخضر يفوقه علما وبصيره. ولمـا طلب سيدنـا مـوسى أن يتعلـم منـه طلب

سيدنا الخضر ألا يسأله لماذا يفعل هـذا أو ذاك وأن يلتـزم بالسمـع والطاعه وهكذا كان لسيدنا الخضر ما أراد بعد شيء مـن الصعوبـه من جانب سيدنا موسى ولـو أن الأخيـر لـم يتعلـم منـه شيئا ولكنـه عرف أن سيدنا الخضر ربما كان أقرب منه لله تعالى بمـا أوتى مـن هذا العلم اللدنى الذى يعرف به الغيب مـن الأقـدار ويكـون منفـذا لبعض ما جرت به المقادير والسمع والطاعه شرطان أساسيان يفرضان على المريـد السالك طريـق الله بالنسبـه إلى الشيـخ أو القطب أو العـارف بـالله وذلك لآن أقوالهـم وأفعالهـم وجهتهـا عبـادة الله فهى صادرة عن قلب سليم يتلقى موجات بمن هدى الله ورحمته والقرآن الكريم يحذرنا من طاعة الكافرين المنافقين المكذبين فيقـول تعـالى « ... ولا تطع من أغفلنا قلبـه عـن ذكرنـا واتبـع هـواه وكـان أمـره فرطـا» (س ١٨ / الكهـف / آ ٢٨)

٤١ - دعاء

«إن مـــع العسر يسرا» فعيـــن العسر سبّاقـــه
دايما للفوز بالياء
«فـــاذا فـــرغت فـــانصب» شعـــارى فى الدنيـــا
ورضاه عنى هو كل الرجاء
تـــردد حمـــده نبضات قلبى وتذكـــر نعمـــاءه علىَّ
والخلق ولا تحصى له ثناء
منـــاي أسمـــع قولـــه «سلام» وأحظى برؤيـــة
وجهه الأكرم يوم اللقاء

....

ان من فضائل العسر أن يعلم الأنسان الصبر والخشوع واللجوء إلى الله جل وعلا وهذه كلها تعتبر مكاسب للأنسان أثناء العسر - وتؤدى إلى اليسر المبارك وهو الهدف الأصلى المشار إليه فى السطر الأول بحرف الياء.

ومن أحسن الشعارات التى يجب على الأنسان أن يجعلها نصب عينيه هى الآيه الكريمه «فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب» (س ٩٤ / الشرح / آ ٧ و ٨) إذ ان حياتنا كلها عمل وجهاد وحتى يُبارك هذا العمل يجب أن يكون موجها لخير البشر حتى ينال رضاء المولى جل وعلا - ونحن نعرف بغريزتنا أن العمل الدؤوب هو السبيل للنجاح فى الدنيا. ولكن هذا العمل ان لم يرتبط بالرغبه فى الله فانه يعوق تقدمنا الروحى ويحيل نجاحنا فى

الدنيا إلى الهلاك والخسارة.

والكثير منا يحمد الله تعالى فى كل صلاه على نعمائه وهدايته وقبل وبعد القيام بأى عمل – والشاعر هنا يريد أن يكون حمده متصلا ما دام فيه قلب ينبض ولذلك فهو قد درّب قلبه على أن يردد الحمد فى كل نبضة منه حتى ترتفع روحه إلى المقام الأعلى ليشترك مع الملائكه في تسبيحها حول العرش وهو ما زال على قيد الحياه. ونذكر الآيه الكريمه «وترى الملائكه حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم» (س ٣٩ / الزمر / آ ٧٥) وقد وصف لنا القرآن الكريم أهل الجنه وما يلاقون من نعيم في قوله تعالى «ان اصحاب الجنه اليوم فى شغل فاكهون * هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلام قولا من رب رحيم» (س ٣٦ / يس / آ ٥٥ و ٥٨) وهذا السلام الموجه من الخالق الرحمن الرحيم يعتبر أكبر وأعظم متعه لأهل الجنه فهو يعتبر الهدف النهائى للسالكين طريق الله.

٤٢ - حكمتك يارب

حكمتك يـــارب حجبت عنـــا عيـــوب كـــل مـــا
تشتهيه النفس فى دنيانـا
ولـــو كـــانت لنـــا واضحـــه ضعفت عزيمتنـــا ولا
بدأنا عمل ولا وصلنا لمرمانـا
يـــارب لا تخفى وجـــه الشر فى أعمالنـــا حتى لا
نواصل السير ونحن صم وبكم وعميانـا
وأخـــفِ ضعفنـــا فى نصرة الحـــق حتى نـــواصل
جهادنا فى الدنيا ونفوز بأخرانـا

....

لو عرف الأنسان ما سوف يلاقيه مـن فشل أو خيبـه أمـل فيمـا عزم على عمله للوصول إلى ما يشتهيه فانه لن يبدأ به ولـذلك فقـد أخفى الله عنا عيوب أو نتائج ما نقدم عليـه مـن عمـل. وذلك حتى يزداد العقل تجربة فى تدبر الأمور ومعرفة الطريق الـذى يـؤدى إلى النجاح وتحقيق الغايه. ومثـل ذلك إخفـاء الله تعـالى العلـم بالساعـه «يوم القيامه» حتى نتدبر أمور الاخـرة ونتـزود لهـا بالإيمـان وصالـح الاعمال كما قال تعالى «ان الساعه آتيـه أكـاد أخفيهـا لتجـزى كـل نفس بمـا تسعى» (س ٢٠ / طـه / آ ١٥).

والشاعـر هنـا يدعـو الله ألاَّ يخفى عنـا الشرور والآثـام التى قـد تصاحب أو تقترن بأعمالنا الدنيويه حتى نتجنبهـا وحتى لا نسيـر فى الدنيا ونحـن صم وبكـم وعميـان. ويكـون الدمـار والهـلاك نصيبنـا

ويلاحظ هنا إن إخفاء نتائج عملنا كما ذكر سابقا يعتبر في صالحنا حتى نزداد تجربة بالحياة الدنيويه ونـزداد نشاطا فى تعمير الأرض. أما إخفاء ما يصاحب العمل من إثم وشر ويؤدى إلى التهلكة فهذا لا يحدث إلا لمن نسى ذكر الله واعتمد على عقله وفكره، لأن الفطره الواعيه والذاكرة فينا تنذرنا وتجنبنا طريق المهلكات.

ويدعو الشاعر أيضا الخلاق العليم بأن يخفى عنا ضعفنا فى نصرة الحق لأننا إذا شعرنا بالضعف قبل أن نقدم على الجهاد فى الحق يئسنا من الغلبه على قوى الشر وخارت عزيمتنا وقوانا ولكن بهذا الإخفاء وبالأمل فى النصر يمكننا مواصلة الجهاد إلى آخر قطرة من دمائنا وحتى الممات وحتى نكتب مع الشهداء ونفوز بالمقام المحمود كما قال تعالى « ... فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» (س ٤ / النساء / آ ٦٩)

٤٣ - الكرامه والمعجزة

كرامه الولى نابعة من روحه الصافيه ان
مسّت قلب المريد اتجه لله
ومعجزة شق القمر إللى شافها وقتها آمن
على التو بالحق وانجذب لله
ومعجزة الرغيف إللى باركه عيسى والرزق
فى المحراب عند مريم كلها من صنع الله
ومعجزة القرآن باقية للأجيال كلها هدى
وعلم ونور لكل من أسلم وجهه لله

....

يريد الشاعر هنا أن يفسر المعنى بين كلمتى الكرامه والمعجزة كما يريد أن يثبت لنا الفرق بين المعجزة الحادثة والمعجزة الدائمة.

فهو يشير إلى كرامة الولى بأنها نابعة من روحه الصافيه المطهرة مما سوى الله والتى تجذب قلوب المريدين وتوجههم فى طريق الله وقد قال تعالى «وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (س ٧ / الأعراف / آ ١٨١).

أما المعجزات الحادثة والموقوتة فى وقت أو مكان معين والتى قد يراها الإنسان فينشرح صدره للأيمان فإن أثرها يتفاعل مع من رآها فقط أما من لم يرها فانه يبقى فى شك منها، إلا إذا أُريد به الهدى فصدّق بشهادة من رآها.

أما المعجزة الخالدة عبر الزمان والمكان والأجيال المتتابعة إلى

أن يرث الله الأرض ومن عليها فانها معجزة القرآن الكريم فهى تتجدد وتتفاعل فى قلوب البشر من جيل إلى جيل وهى معجزة الرحمن الكبرى التى أودعها حكمته ونوره وهداه لينشرها على الأحياء تعبيرا عن سعة كرمه وجميل فضله على البشرية حتى يصل الانسان إلى ما قدَّره له من مقام فوق مقام الملائكة المقربين والقرآن الكريم فيه طاقة كامنة كبرى لا يتمتع بنفحاتها الكريمة إلا من طهر جسمه وعقله وروحه كما ذكر المولى جل وعلا فى قوله «إنه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون» (س ٥٦ / الواقعه / آ ٧٧ - ٧٩). وللدلالة على قوة تأثير القرآن قوله «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» (س ٥٩ / الحشر / آ ٢١) ومعجزة القرآن تعدت الانسان إلى عالم الجن الذى عرف أنه تنزيل من الرحمن الرحيم ولقد استمع نفر منهم إلى القرآن فعرفوا أنه الحق وأنه يهدى إلى صراط مستقيم فأنذروا قومهم كما ذكر فى قوله تعالى «يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين» (س ٤٦ / الاحقاف / آ ٣١ - ٣٢).

٤٤ - مكافأة الصالحين

أهـل الميمنـة وهُمَّـه ماشيين يـوم الحساب إلى مقامهم المحمود
اتعجبـوا لمـا مـرُّوا على جهنـم وشافوهـا خضره مليانة بالورود
سألـوا الملايكـه كيـف هـذا؟ قالـوا كِـده تظهـر لكم بأمر الحميد المجيـد
مكافـأة لكـم على أعمالكـم الصالحـة حجب عنكـم رؤية النار وما فيها من وقـود

....

يتخيل الشاعر فى هـذه الرباعيـة أن جـزاء الصـالحيـن .. الذيـن ارتفعوا بأنفسهم إلى أعلى مقـام تبـدأ مـن ساعـة بعثهـم فى الآخـرة فهم لا يتعرضون لأى أذى أو خوف أو حزن فهم مـن «المكرميـن» وهو يتخيل أيضا أنهم عند مرورهـم بالجحيـم وهـذا مكتـوب على كل فـرد كمـا قـال تعـالى «وإن منكـم إلا واردهـا كـان على ربك حتمـا مقضيـا» (س ١٩ / مريـم / آ ٧١). فـان المـولى جـل شأنـه وتعالى إسمه يحجب عنهم رؤية النار وما فيها من وقود من الحجارة والكفار حتى لا تتأذى أعينهم وذلك بتغطيتهـا بـالخضرة التى تريـح الأعين وبالورود والرياحين حتى تبشرهم بقرب الـوصول وتذكرهـم بالآية الكريمة «فأما إن كـان مـن المقربيـن، فـرَوْحٌ وريحـان وَجَنّـةُ نعيـم» (س ٥٦ / الواقعـة / آ ٨٨ - ٨٩) وكمـا أن الله عـز وجـل رحيم بعباده المقربين فى الآخرة فإن علينا ونحن فى الدنيا أن نرحم

الأحياء بتجميل البيئة الخارجية التى نعيش فيها لأن الجمال يعبر عن طهارة النفس كما يوحى بالخشوع والتسبيح، وعلينا أن نبدأ بالبيئة المنزليه حولنا وذلك باتباع النظافة والترتيب فى ملابسنا ومساكننا وحدائقنا حتى تقر أعين الحي إذا رآها مقتدين بالرسول ﷺ وحتى تكتب لنا الحسنات ما دامت وجهتنا الله سبحانه وتعالى.

٤٥ - يوم الخلود

أرواح الـرسل والأوليـا مـن بـدء الخليقـة حافـة
بالعرش تسبح بحمد الرحمن الرحيم
كلهـا عارفـة النهايـة م البدايـة وشاهـدة بالحـق
وعارفة ماورا الظاهر من سِرٍّ دفين
ولمـا نـزلت على الأرض بيـن البشر فضلت
صلاتها بالحضرة الإلهية بعلم اليقين
يَذَكَـروا كـل جيـل ييجى م النـاس بالـرب
والبعث والساعة والحساب وثواب المكرمين

....

يعتقد الصوفيون أن أول خلق الله كان نور محمد الذى تركزت فيه كل قوى الخير والهدى والرشاد وأن هذا النور المحمدى توارثه الانبياء والرسل وأولياء الله وغرفوا منه كل حسب درجته ومقامه حتى اجتمع وتلألأ فى قلب المصطفى عليه أفضل الصلوات والتسليمات وهذا النور يطوف مع الملائكه منذ بدء الخليقة حول عرش المجيد وهو يوهب كل من غرف قدرا منه مواهب روحيه تهديه فى طريق السالكين حتى تصفو روحه وتحاط علما باذن ربها بمصائر الأحداث وما وراء ظاهر الأشياء من أسرار علميه وكونيه وروجيه تعى العقول فى تفسيرها.

والشاعر يخبرنا أن هذه الأرواح الطاهرة عندما نزلت وتجسدت على الأرض كل فى وقته وفى مكانه كما أراد لها المولى جل

وعلا فانها لو تفقد صلاتها بمنبع الوحى والإلهام بما أوتيت من علم اليقين ووظيفتها على الأرض هى فى تذكير الأجيال المتعاقبة بالخالق جل وعلا وبالبعث والساعة والحساب وبمقومات الأيمان والاحسان حتى يتقربوا إلى الله وترتفع أنفسهم من مقام إلى مقام ليفوزوا بالرضا الأعلى وبجنة الله الخاصة كما ذكر فى الآية الكريمة «يأيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى في عبادى * وادخلى جنتى» (س ٨٩ / الفجر / آ ٢٧ - ٣٠). وهناك يجدون السلام والخلود «أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود» (س ٥٠ / ق / آ ٣٤).

٤٦ - الدين الحق

الديـــن الحـــق هُـــوَّه اللى يهـــديك الصراط
المستقيم لعبادة الحى الواحد المتعـال
وهــوى الدنيـا هُـوّه اللى باعـدك وحـاجبك عـن
نوره تعالى بالسدود والأغـلال
إمتى تتغلب على الهــوى وتاخـــذ ولـــو خطـــوه
واحـــــده فى طريـــــق الحـــــق وتحس
برحمة ذى الجلال
وفى نــور مشكاتــه تمشى عــاكس لنـــوره وعـــل
الطريق شايف آياته فى كل حِـلٍّ وحـال

....

غاية الدين الحق أن يذكرك بالخالـق الواحـد المتعـال ويهـديك الصراط المستقيم لعبادته والقنوت له لتكون ممن وصفهـم الله جـل وعلا فى قوله « ... سبحانه بل له مـا فى السمـاوات والأرض كـل لـه قانتـون» (س ٢ / البقـرة / آ ١١٦).

وما يحجب الانسان عـن الإيمـان بالخالـق ويبعـده عـن طريـق الحق هو إنخداعه بمفاتن الدنيا وعدم تنمية قواه العقليه ليتدبـر آياتـه فى الخلق ويكشف عن الفطره التى أودعها الله جـل وعـلا فى قلبـه - ولقد تـوصل العلمـاء حديثـا أن الجـزء الأيمـن مـن المـخ منـوط بالخيال والتأمل والنظرة الشاملة للأشياء ويحاولون تنميته فى الأطفال مع الجزء الأيسر المنوط بالتحليل الدقيق والحساب. وذلك قبـل أن

تتكون السدود والأغلال فى نفوسهم والتى عبر عنها القرآن الكريم فى قوله تعالى «إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون» (س ٣٦ / يس / آ ٨ - ٩).

والشاعر ينصح الضالين أن لا ييأسوا من رحمة الله وأن يتخذوا ولو خطوة واحده فى طريق الحق فان هذه الخطوه ستحطم الأغلال والسدود أو العقد النفسية ومالها من تأثير متواصل وهكذا تبدأ هذه العقد فى التحلل والانحلال ويحل محلها شعور بالطمأنينة نتيجة هذه الخطوة الأولى المباركه كتلك التى أشير إليها فى قوله تعالى «وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة، فك رقبه، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة، يتيما ذا مقربه، أو مسكينا ذا متربه * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» (س ٩٠ / البلد / آ ١٢ - ١٧)

فإذا سار السالك طريق الله على ضوء مشكاته تعالى فان المولى يريه من الايات فى حِلّه وترحاله وفى كل عتبة مباركة «حال» يصل إليها فى معراجه مما يعزز إيمانه ويزيد من نوره.

٤٧ - الكلمة الطيبة

الكلمة الطيبة هِيّه مفتاح الود والمحبه بين
البشر والرزق بيجى معاها والهناء
والكلمة السيئة تنفر الخلق من بعضها
وتزيد لهيب الحقد وتتسبب فى الشقاء
وبالكلمة الطيبة نطلع السلم فى نوره
الهادى ونفوز بالرضا الأعلى ونعم الجزاء
فاللهم طهر عقولنا فلا تنطق إلا بالمحبة
والحمد والشكر لمن لا يحصى له ثناء

....

لاشك أن الكلمة الطيبة هى التى تزيد وتقوى أواصر المحبة بين البشر كما أنها مفتاح لأبواب الخير كما قال تعالى «آلم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء * تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون» (س ١٤ / إبراهيم / آ ٢٤ - ٢٥).

أما الكلمة السيئة الصادرة من قلب عاص متكبر ومن ناصية «أى جبهة الرأس والتى فيها مركز الذكاء» كاذبة خاطئة لا تزرع إلا العداوة والبغضاء وتنفر الخلق من بعضها وما أبلغ قوله تعالى فى وصفه لخُلُق الرسول «فبما رحمة من الله لِنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب

المتوكلين» (س ٣ / آل عمـران / آ ١٥٩).

والشاعر يذكر المريدين أن طريق الله المؤدى إلى رضاه وحسن الجزاء فى الداريـن لا يتـأتى إلا للقلوب الرحيمـة التى تشع منهـا الرحمة ويخرج منها الكلم الطيب وتحث على العمل الصالح وبذلك تتدرج النفس فى معراجها نحو الانسان الكامل الـذى أراد المـولى جل وعلا أن يكون خليفته على الأرض. وهـو يدعـو الله أن يطهـر عقله مـن وساوس الأنس والجـان ونفسه مـن كـل مـا يبعدهـا عـن طريق الله فيكون ممن يحبهم الله وهكذا ينعكس حب الاله لـه على معاملاته مع الأهل والجيرة والناس كمـا ينعكس حبـه لله فى ذكـره تعالى وحمده وشكره واتباع اوامره واجتنـاب نواهيـه.

٤٨ - وسوسة الشيطان

قال له الشيطان لما شافه ما ينتهي من صلاه
وتسبيح وحمد للاله
«هل سمعته ولو مرة يقول لُبيك أنا حاضر
بعد ما شِبتْ في الذكر يا أنساه»
قال له إخسأ يا ملعون إن نطقي بالبَاء قبل
الاسم أوصلتني على التو بالله
فأستجاب دعائي وحفظني من شَرَّك
ووسوستك قبل أن أكمل بسم الله

....

أحد منا لم يرى الشيطان وأحد منا لم يرى كيف تُصْنَع الأفكار فى العقل وكثير من العلماء يعتقدون أن الفكر ليس مادة كما أن الحياة فينا لا تمت للمادة بصلة. وربما يكون الشيطان والفكر والحياة والفطرة التي وضعت فينا كلها أمواج مختلفة فى ذبذباتها وتأثيرها على الأنسان. ويمكن اعتبار الشيطان كمجموعة من الأمواج المعاكسة الضارة التى تؤثر فى كيان الإنسان وتجعله عرضة للضلال والغرور والعداوة والبغضاء والكبرياء والعناد فى الباطل الخ...

وقد تكون هذه المجموعة من الأمواج المعاكسة موزعة على كائنات كل منها متخصص فى إحداث نوع من الأضرار بالانسان، فبعضه يؤثر على عقله عن طريق الوسوسة والاغراء وهذا ألد الأعداء لنا وللبشرية جمعاء. ولقد أوصانا الله جل وعلا بأن نتخذ الشيطان

عدوا ولا نتخذه وليا أو قرينا لنحمي أنفسنا من كل المهلكات ونحن نقرأ فى القرآن الكريم هذه الآيات المليئة بالمعانى «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا» (س ٤ / النساء / آ ١٢٠) و « ... ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا» (س ٤ / النساء / آ ١١٩) و «... ومن يكن له الشيطان قرينا فساء قرينا» (س ٤ / النساء / آ ٣٨) و «وكان الشيطان للانسان خذولا» (س ٢٥ / الفرقان / آ ٢٩) والشاعر يذكر لنا هذا الحديث المتبادل بين الشيطان والسالك طريق الله كيف يحاول الشيطان أن يغوى الذاكر لله فيقول له إنه بالرغم من مداومتك على الذكر والتسبيح فانه «أى الله سبحانه وتعالى» ما استجاب ولا اهتم بك. ولكن الراغب فى الله يعرف بفطرته أن الشيطان يحاول أن يزعزع إيمانه وتقواه ويعرف أيضا كيف يقى نفسه من شروره كما علمنا المولى فى الآيه الكريمه «وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم * إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون» (س ٧ / الاعراف / آ ٢٠٠ — ٢٠١). والشاعر يذكرنا بهذه الآيات الكريمة وينسف منطق الشيطان اللعين ويعلمه أن الله سبحانه وتعالى هو خير الحافظين وأنه استجاب لدعائه بحفظه من وسوسته بمجرد ان نطق بحرف الباء فى بسم الله او فى «أعوذ بالله» لانها أوصلته على التو بالخالق جل وعلا فرأى الشيطان ببصيرته وعلى حقيقته وعرف كيف ينجو منه ومن أحابيله ووسوسته بالاستعاذة بالله.

٤٩ - من أنا؟

العلـــــم بيجى لمــــا تسأل نفسك وِتْفكَّــــر
من أنا
وتسمعهــــا بتقــول فى ردّهــا لا أعــرف فى
الحقيقة من أنا
وحيرتك بيــن يــا تــرى أنــا لست أنــا أو أنــا الآن
هوّه أنا
الـ «أنــا» كثيــرة وكـل واحـدة تلبسك لحظـه وتقــول
عن نفسها أنا

....

لكل إنسان أنا «ذاتية» ولكن هذه الـ أنا زئبقية تتغير مع أفكار الإنسان وعواطفه وأمزجته ولا يمكن أن يتصور الإنسان أن «أنــا» واحـدة تلبس الانسان فى حـالات الغضب والحقـد أو السعـادة والسماحة أو التواضع أو الكبرياء أو فى حالتى الغفلـة والتذكـر ففى كل هذه الحالات توجد «أنا» مسيطرة وتختفى «الأنـات» الأخـرى. وهـذه «الأنـات» تعيش كلهـا فى الانسان الواحـد يكتنفهـا الصراع الدائم وقد يكون عنيفا حتى تسيطر واحدة من هذه «الأنـات» بعض الوقت ولا تلبث أن تنهزم من أخرى وهكـذا دواليك - وهـذا كلـه راجع لعدم وجود «الأنا» السيده الذاكرة التقية التى تسيطـر وتـراقب أو تدير «الأنات» الأخرى فهذا الانسان يعتبر من أهـل الغفلـة إذ قـد تؤدى أحد «الأنات» التى تسيطر عليه فى وقت غضبه إلى أن يرتكب جريمة وهكذا تتعذب كل «الأنات» الاخرى. والمثل العـامى يصف

حاله كأنه «بيت بلا صاحب» فكل الخدم فيه تتصارع على السيطرة.

وحيرة الشاعر تدل على أنه بدأ يعرف نفسه وقديما قالوا إذا أردت الحكمة «فاعرف نفسك» وهو فى هذه الحيرة بدأت تتضح له الامور ويعرف تلك «الأنات» الكثيرة فيه وأن الوقت قد حان أن يعين عليها مراقبا عتيدا ذاكرا لله وعالما بالنفس ذا خشية وتقى حتى يوجه الانات الأخرى لأغراض الحياة المختلفة فى حدود الفطرة وما تمليه عليه وهكذا ينصلح حاله ويفوز بالاطمئنان ويسير فى طريق الله فى بشر دائم ورجاء فى عفوه ورضاه.

والصوفيون يحاولون قتل كل «الانات» الأخرى التى لا تتجه لله بكليتها وبمعنى آخر قتل الأنانية فى أنفسهم وهم يعتقدون أن الـ «أنا» الكاملة الحية الصمدية لا توجد إلا فى الله جل شأنه وهو المنفرد بها وفى ذلك يقول تعالى مخاطبا سيدنا موسى - «إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى» (س ٢٠ / طه / آ ١٤).

٥٠ - العلامات على الطريق

لا تِخلطوا يا ناس بين العلامات إللى على
الطريق والطريق نفسُه
ولا تتوقفوا عندها وتنسوا المسيرة نحو
الحق ورحاب أُنسُه
فهى ليست إلا مُبَشراتُ بقرب الوصول
وللجاهل غايات لِطمسُه
والحكيم فينا يمر عليها مَرْ الكرام ويداوم
الذكر وينسى غده من أمسُه

....

إن السالك طريق الله قد يكتسب نتيجة قنوته وإخلاصه لله العلى القدير فتوحات روحية وقدرات خارجة عن الحواس مثل الفراسة والرؤية من بعد وطرح الروح وغيرها وهذه الفتوحات تعتبر علامات على الطريق تبشره بقرب الوصول وتنبئه برضا المولى عنه، وذلك ليزداد جهاده للنفس ومواصلة المسيرة نحو الحبيب، ولا يصح أن يعتبرها السالك أهدافا وإعلانا بالوصول فيقف عن الذكر وتستهويه هذه القدرات فيعرضها أو يفاخر بها الآخرين - إذ أنه إذا إعتبرها كذلك توقف نموه الروحى وبعد عنه الهدف وربما حاد عن الطريق المستقيم. ولذلك يوصى الشاعر الصوفى السالكين طريق الله أن يمروا على هذه الفتوحات الروحية مر الكرام ويواصلوا الذكر وحمد الله جل وعلا والتأمل والتدبر فى قدرته التى أبدع بها الخلق والخليقة. وفى رحمته التى وسعت كل خَلْقِه.

وللتأمل والذكر يجب على السالك طريق الله أن يطهر المكان الذى سيختاره للجلوس فيه فى وضع مريح «حتى ولو كان على كرسى» ويحاول أن ينسى الزمن ويوقف موجات الفكر المتلاحقة فى عقله مع وجود حالة الانتباه واليقظة، ويتخيل أنه يسبح فى ملكوت السماوات. فإذا داوم ذلك فانه قد يسمع أو يرى أشياءاً خارجة عن حواسه الخمسة وعليه أن يستقبلها بالبشر والقنوت فهذه آيات من ربه لِتُشجعه على المسيرة إلى رحاب أنسه ولتزيده علما بحقائق الأشياء وإيمانا بالخلاق العليم - وكلمة «السكينة» فى الآية الكريمة «هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم» (س ٤٨ / الفتح / آ ٤) تعبر عن الصفة التى يتمتع بها السالكون طريق الله فانهم كلما رأوا آية من فتوحاته الروحية عليهم إزدادوا إيمانا وإزدادوا ذكرا وحمدا وطاعة وقنوتا.

٥١ - سلامه العاطر

لسانى بالذكـــر حامـــد وشاكـــر وقلبى بنبضه
شاهد وذاكر
لا تلومـونى أن نسيت الوجـود فى حبـه فذكـراه
تحتلُّ منى كل خاطر
منتظـر يـوم وقـوفى أمامـه وفى ذِلَّـة خشوعى
أهمس قولتى يا غافـر
واجتمـــع بالأحبـــة إللى عـــاشوا قبلنـــا
ومن رحمته وكرمه نسمع سلامه العاطر

....

تعبر هذه الرباعية عن الحب والجذب اللذين يشعر بهما الصوفى نحو الله عز وجل وهو يترجم هذا الحب بالشكر والحمد والشهادة من أصغريه : قلبه ولسانه متمنيا ذلك اليوم الذى يقف فيه فردا بين يدى الله ليجزى على سلوكه ومسعاه فى الدنيا وفى ترقبه للحكم عليه يقف فى ذلة وخشوع هامسا متضرعا للماجد الغفار التواب الرحيم أن يأخذ كتابه بيمينه ويفوز بالجنة ويجتمع بأحبائه المؤمنين فى فرحة وحبور «أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون * يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون» (س ٤٣ / الزخرف / آ ٧٠ - ٧١). وهذه الآية الكريمه تشير إلى الحبور «أو الفرحة الكاملة» لا تتم أبدا للفرد الواحد إلا إذا كان حوله أحباؤه الذين إئتلفت أرواحهم معه فى حياته الأرضيه.

والشاعر هنا يشير إلى أن الصوفى الذى إستغرق قلبه فى حب الله إذا ما فاز بالجنة فان كل نعيمه هو سماع سلام حبيبه ومولاه وهو يطوف به وبأحبائه فانه يجد فى هذا السلام الالهى الذى يشع الرحمة والمحبة والطمأنينة والحبور كل رجائه وغايته وكل متعته فى جنة المأوى وهكذا يفسر لنا الشاعر الصوفى قوله تعالى «إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون * هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون * سلام قولا من رب رحيم» (س ٣٦ / يس / آ ٥٥ – ٥٨)

٥٢ - إنت مين

خَبَّـط على بـاب الحبيب ولمـا سألـه «أنت ميــن»
قال له «أنا يا أكرم الأكرميـن»
قـال لـه مـا عنـدِى لك مكـان هنـا مـا عِـرفت
الوجد لسَّه ولا اتخلقت بالقرآن الكريـم
وبعـد مـا فنـا فى حبـه عـاد الكـرَّة ورده كـان
«أنت يا من بهرْتَ قلوب العالميـن»
قـال لـه أدخـل جنتى فقـد عـرفت حقيقـة
«الأنا والأنت» ومُلِئت بنور اليقيـن

....

إن غاية الصوفى أن يقتل الانانية فى نفسه حتى يمكنـه الاتصال بمولاه والتقرب إليه والأنانية هى التى تحفز الانسان على التفاخر بالنسب أو بالمجد أو الغنى أو الأولاد ولذلك فهو يسعى أن يكـون فقيرا بعيدا عن الجشع فى الامتلاك أو السيطـرة. وبعض الصوفيـون وزَّع كل أمواله على الفقراء واكتفى بما يستر بدنه مـن خرقـه باليـة مرقعة حتى يتقرب لله وبهـذا الفقـر يمكنـه أن يصقـل نفسه حتى تكون كالمرآه تعكس نـور الله.

ومن السطر الأول فى الرباعيـة نـرى أن السالك طريـق الله لمـا سئل «من أنت» ذكر رده الـ «أنا» مما يدل على أنه لم يقتلهـا بعـد. ولذلك أخبره «الحبيب» أى الله سبحانه وتعالى أنه لـم يكتـوى بعـد بالوجد وأنه لـم يتخلـق بالقـرآن الكريـم الـذى يخبرنـا أن الـ «أنـا»

القيومية الصمدية هى ذاته تعالى «أنظر الرباعية ٤٩» ونفهم من الرباعية أن السالك طريق الله داوم الذكر وجهاد النفس واكتوى بحب الله حتى فنى بالكلية فى الله وأعاد الكرّة بطرق باب «الحبيب» ولما سئل ثانية «من أنت» أجاب «أنت يا من بهرت قلوب العالمين» لأنه عكس نور الاله وتكلم بلسان من فقد أنانية حُبّاً فى الله فقد ملىء بنور اليقين وإستحق أن يفوز بالجنة الخاصة وبرضا الخالق جل وعلا ورحمته...

٥٣ - دعاء السالكين

يـــا كـــاشف الغـــم عـــن قلبى دعـــوتك ربى أن
ترينى طريق النجاه
يـا عالـم الغيب والشهـادة كيـف الخـلاص لطريـد
نزيل بسجن الحياه
هـــلاً مننت علىَّ فى ظُلمتى بشعـــاع مـــن مصبـــاح
نورك الدرى فى المشكاه
وعلَّمتنى كيـــف أعلـــو بـــروحى فـــوق سجنى
وبالميثاق أعرج إليك كـل صلاه

....

تذكرنا هذه الرباعية بآيات محكمات فى القرآن الكريم نسردها فيما يلى : -

السطر الأول : يشير إلى سيدنا يونس وهو يدعو الله بالنجاه وهو مغموم حزين ببطن الحوت «فإستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين» (س ٢١ / الأنبياء / آ ٨٨).

السطر الثانى : يذكرنا بالآية « ... عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك» (س ٣٩ / الزمر / آ ٤٦) وهو يدعو الله أن يخلصه من سجن الحياة على الأرض بعد أن كان فى جنات النعيم.

والسطر الثالث : وفيه يدعو المولى جل وعلا وهو فى ظلمته الحالكة فى سجن الحياة أن يريه من نافذة سجنه شعاعا من نور مصباحه حتى يهتدى به ويتبعه ويعلو بروحه. وهذا إشارة إلى قوله

تعالى فى سورة النور «الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة » الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء .. » (س ٢٤ / النور / آ ٣٥).

السطر الرابع : يشير إلى تمسكه بالميثاق الذى أخذه المولى جل وعلا مع آدم وذريته كما ذكر فى الآية الكريمة «واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور» (س ٥ / المائدة / آ ٧) وهو يشبه الميثاق بالحبل الذى يربطه بالله جل وعلا وبواسطته يمكنه أن يعرج للحضرة الإلهية فى كل صلاه وينعم مع الأرواح الطاهرة بالقرب والذكر والتسبيح.

٥٤ - القوى الكونية

فى عالمنـــا قـــوات كثيـــرة ومخلوقـــات مُسَخَّـــره
للخير والشر مرئية وغير مرئيـة
فسبحـان الـذى أعطى كـلَّ شيء خلقـه ثـم هـدى
إلى النجدين فى حياتنا الأرضيـه
ووصّـــل العقـــل بالفـــؤاد والسمـــع والبصر
لنكتشف فينا الفطرة الإلهيـة
ويـــاريت نِقـــدَّر كـــل اللى أعطانـــا مـــن فضلـــه
ونقدّر رحمته بينا وسط القوى الكونيـة

....

توجد فى الكون قوى كثيرة بعضها مفيد لنا كـالشمس والقمـر وتعاقب الليـل والنهـار وهطـول الأمطـار وتسيير الريـاح والجراثيـم المستضعفة التى تجلب المناعة فى الانسان ضد مثيلاتهـا القاتلـة لـه والكـلاب التى تحـرس القطعـان وبعض هـذه القـوى ضار بنـا مثـل الزلازل والبراكين والعواصف والصواعـق والأشعـة فـوق البنفسجيـه والحيوانات المفترسة أو السامه والجراثيم القاتلـه والظلمـه الحالكـة التى تعطـل وظيفـة البصر كالناتجـة عـنٌ تراكـم السحـب فى الليـل وكذلك الأمواج البيولوجيه كالناتجه من السحر أو الحسد أو الضغينه وهى من عمل الانسان لأحداث الضرر بالآخرين - وشياطين الجن التى تعادى الانسان وتـورده حتفـه - وهـذه القـوى المختلفـه سواء كانت مرئيه أو غير مرئيـه والتى تهاجمنـا ونقـف أمامهـا بـلا حـول ولا طول إلا برحمة منه تعالى كان يمكن أن تطيح بالجنس البشرى

على هذه الأرض لولا رحمته جل شأنه وفضله علينا ولقد أوصانا المولى أن نستعيذ به ونطلب العون فى النجاة منها كما ذكر فى سورة الفلق «قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات فى العقد * ومن شر حاسد إذا حسد» (س ١١٣ / الفلق / آ ١ - ٥).

ولقد وهبنا الله سبحانه وتعالى القدرة على الحياة على الأرض بالرغم من كل هذه المهلكات وقد ذكر فى القرآن الكريم أنه لما سأل فرعون سيدنا موسى «فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذى أعطى كل شيء خَلْقَه ثم هدى» (س ٢٠ / طه / آ ٤٩ - ٥٠) وقد هدانا الخالق للنجدين أى طريقى الخير والشر حتى يختبرنا ويجازى كل نفس بما سعت ويعتبر العقل والذكاء هما أعظم هدية لنا من الخالق جل شأنه وهو متصل بالحواس وأهمها السمع والبصر وكذلك بالفؤاد الذى يعتبر مركز العواطف والمشاعر الروحية وعلينا بهذا العقل المتصل بأجهزة الاستقبال فى الجسم أن نكتشف فينا الفطرة الالهية وهذا سر قول الحكماء فى المثل «اعرف نفسك» فأننا إذا أزحنا عن هذه الفطرة غبار الجهل وصدأ المادية والأنانية فانها تتمكن بقوتها الكامنة أن تقاوم نوازع النفس الأمارة وتقاوم قوى الشر المحيطة بنا وهكذا نقدّر نِعَم الله علينا ونعمل بواصاياه «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... » (س ١٦ / النحل / آ ١٨).

٥٥ - حقيقة الأشياء

حقيقة الأشياء ما يعرفها غير الله واحنا
بس بالشكل والظاهر شاعرين
العصا عند موسى قطعة خشب من شجره
وعند الرب حيَّه تسعى كالتنين
والرعد صوت مجلجل ف سمعنا وعند الرب
تسبيح بحمده ورحمة للعالمين
سيدنا عمر قبل الهدى كان ظالم وقاسى فى
شبابه وعند الرب كان عزة للمؤمنين

....

انا نعرف ظاهر الأشياء فقط وتعطيها أسماءاً ولكن لا يمكن لعقولنا أن تتعرف الحقيقة وراء المظهر - وحتى علومنا بالرغم من تقدمها في معرفة أصول المادة من ذرة والكترون وبروتون وفوتون وكذلك أصول الحياة من خلية وكروموسوم وجين والحياتية الجزيئية فاننا لم نصل بعد للغاية ونقف عاجزين بل أكثر عجزا بعد أن تقدمنا بهذه العلوم وتأكدنا أن ما نعرفه لا يعد شيئا بالنسبة لما لا نعرفه وقد قال تعالى «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» (س ٣٠ / الروم / آ ٧) - ونعرف من القرآن الكريم أنه تعالى علمً آدم الأسماء كلها ولكنه لم يعلمه حقيقة الأشياء لأن ذلك يحتاج إلى تشغيل العقل على أعلى مستوى حتى يفتح الله عليه بشيء من علمه تعالى «ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء» فى آية الكرسى (س ٢ / البقرة / آ ٢٥٥) ولا يمكن

أن نتصور أن الضالين بالدنيا يمكنهم أن يحيطوا بالعلم الالهى النافع للبشر إلا إذا خشعوا للحى القيوم وتواضعوا أمام الخالق واتبعوا وصاياه وكلما إزدادوا علما ازدادوا خشية لله وإيمانا بعظمته كما قال تعالى « ... إنما يخشى الله من عباده العلماء ... » (س ٣٥ / فاطر / آ ٢٨) وضرب لنا الشاعر أمثلة حتى نتيقن أننا نعلم ظاهر الأشياء فقط ونجهل بواطن الأمور وخفايا الزمن فمثلا عصا سيدنا موسى تظهر له على أنها قطعة من الخشب يتوكأ عليها ولكن المولى قادر على أن يحيلها إلى حية تسعى تلقف كل ما صنع السحرة أمام فرعون وضرب لنا مثلا آخر الرعد الذى نسمعه صوتا مجلجلاً فى السماء وما يسبقه من برق نتيجة تفريغ الشحنة الكهربائية فى السحب إلا إنه عند المولى تسبيح وحمد وذكر للخالق كما أنه تذكير للبشر بقوته تعالى وآية من آياته فى قدرته على تسخيره لتخويف الأنسان أو لجلب الخير له «على هيئة الأمطار» « ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا .... » (س ٣٠ / الروم / آ ٢٤).

ومثل آخر يضربه الشاعر بسيدنا عمر رضى الله عنه كيف كان قاسيا وظالما قبل إسلامه وكيف ضرب أخته لما سمع باسلامها - وفى الوقت نفسه كان الرسول ﷺ يدعو الله ويقول «اللهم أعز الاسلام باحد العمرين» وذلك لأن الله أوحى له أن دخول سيدنا عمر الاسلام سيكون عزة وقوة له.

٥٦ - الحق والحقيقة

يـا مـن قنعت بـالاسم وعشقت ترديـده فتّش عـن الحقيقة بالإلهام
وطَهَّـر النفس مـن مفاتـن الدنيـا تـرى حقيقـة الاسم فى قدرة الواحد المنّان
ولا تكتفى بالـوِرْدْ والذكـر والصلا واشرب رحيق الفنا من كأس الود والهيام
هـو الحـق وماعـدا الحـق باطـل فسدد خطـاك لتلقى وجه ربك ذى الجلال والاكـرام

....

يوجه الشاعر كلامه للذين يظنون أن فى ترديد أسمائه الحسنى وحضور حلقات الذكر ومداومة الصلاة بدون محاولة منهم فى الأرتفاع بأنفسهم بواسطة جهاد النفس والتأمل والتدبر فى قدرة الخالق وآياته البينات فى الخلق سيؤدى بهم إلى ما يرغبون من رضا المولى عليهم.

والذكر المحصور فى ترديد الاسم الأعظم لن يجدى كثيرا إذا لم يقترن بالتأمل والتفكر وفى ذلك يقول جل وعلا «الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار» (س ٣ / آل عمـران / آ ١٩١).

والحق هو إسم من أسماء الله الحسنى «فتعالى الله الملك الحق

لا إله إلا هو رب العرش الكريم» (س ٢٣ / المؤمنون / آ ١١٦) والحقيقة هى ما أبدعت قدرته من خلق وما أودع فى الكون من علم «آلم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق» (س ١٤ / إبراهيم / آ ١٩) وكما ذكر فى الرباعية رقم ٥٨ فأن عقولنا قاصرة عن معرفة حقيقة الأشياء ولكننا مكلفون أن نتدبر ونتعلم حتى نُقَدِّر قدرة الله وسعة علمه وفيض رحمته على العباد.

الشاعر يحض السالكين سبيل الله أن يطهروا أنفسهم من مفاتن الدنيا الماديه ومن الأنانيه وما ينبع منها حتى يروا نوره تعالى الذى يشع فى كل خلقه وحتى يصلوا إلى مقام السكينة فتنمو فيهم حواس روحية وقدرات جديدة مكتسبة تزيدهم علما بالأشياء وإيمانا بالقدرة الإلهية .. وهو يحذر السالك ألا يكتفى بهذا المقام بل يواصل الذكر والتأمل والاعتبار حتى يفنى نفسه فى حب الله وينال رضاه ورحمته.

وهذا المقام لا يصله إلا المقربون مثل سيدنا الخضر الذى ذكر فى القرآن الكريم بأن الله تعالى أرشد سيدنا موسى وتابعه أن يلتقيا به «فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمناه من لدنا علما» (س ١٨ / الكهف / آ ٦٥) وهذا المقام المحمود لا يصل إليه الإنسان بواسطة الالتحاق بمدرسة أو بطريقة من الطرق الصوفية أو بقراءة الكتب أو بالذكر الذى لا يتعدى تحريك اللسان، بل عن طريق تطهير النفس بالرغبه إلى الله والفناء فى حبه وطاعته.

٥٧ - الشعور والفكر

واحـد ضرب زيـد على قفـاه وِفَرْقَـعْ الكـف
وم الألم بيلالي
والضارب قـال لـه «رجـاء تجيب سؤالى قبـل
ما تناولنى كف بالتالى»
والسؤال «هـل يـا تـرى الصوت حـدث مـن اليـد
أم مِ القفا يا غالي؟»
قال له «فكَّر أنت لأن الألم إللّى عندى هو كل
شيء وردِّى فِ الحال»

....

يريد الشاعر هنا أن يبين للمريدين أن الشعور والفكر متصلان اتصالا وثيقا والشعور هو الذى يحرك الفكر إما إلى الشر وإما إلى الخير وأن التفكير الرصين الواعى المتدبر لابد أن يسبقه مشاعر بالطمأنينه الهادئه الخارجة من نفس رُوِّضت على التقى والورع. أما الفكر الذى تثيره مشاعر النفس الأماره مثل الغضب وحب الانتقام فانه ليس بالفكر الواعى ولكنه عبارة عن رد فعل أو تفكير حالى مضطرب لا يمكن له أن يؤدى إلى تقوى الله أو إلى الذكر أو التأمل إذ أن هذه كلها تحتاج لمشاعر هادئة من نفس مطمئنة «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» (س ١٣ / الرعد آ ٢٨) وإذا اطمأنت القلوب التى هى مصدر المشاعر فانها توحى للفكر بالأعمال الصالحة والسير فى طريق الله. أما الذين تستهويهم مفاتن الدنيا فان مشاعرهم فى ثورة دائمة لا تهدأ لأنها صادرة عن نفس جشعة نهمة غدارة

كاذبـة خـاطئة ولا يمكـن لهـذه المشاعـر أن تجلب الطمأنينـة فى القلوب وبالتالى للفكر الرزين السليـم وقـد قـال تعـالى فى وصفهـم «لهم قلوب لا يفقهـون بهـا ولهـم أعيـن لا يبصرون بهـا» (س ٧ / الأعـراف / آ ١٧٩).

وكيـف يتأمـل الانسان فى آيـات الله ومشاعـره ثائـره بالأنانيـة والجشع والغضب وكيف يفهم ويتعقل الضالون العصاه قولـه تعـالى الذى يحث على التأمل المؤدى إلى التقوى والايمان «أفـلا ينظـرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيـف رفعت * وإلى الجبـال كيـف نصبت * وإلى الأرض كيـف سطحت * فذكـر إنمـا أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر» (س ٨٨ / الغاشية / آ ١٧ - ٢٢).

٥٨ - علم اليقين

الحقيقـة مخفيّـه على الواحـد والعلـم المـزوق
بالكلام لا ينفع ولا يجدى
لا تعـرف النـار إلا إذا اصطليت بهـا ولا حب
المجيد إلا بالهجر والوجد
العيـن فتّاحـة للقلب والـودن سماعـه ويـا بخت
من طهرهم ووفقهم لما يُرضى
عيـن اليقيـن هيّـه اللى شايفـه الحقيقـه وعلـم
اليقين بيجى بالذكر والحمد

....

يذكرنا الشاعر أننا فى جهل عن حقيقة الأشياء مهما تفلسفنا ووضعنا النظريات وكتبنا الموسوعات فالله سبحانه وتعالى لم يشهدنا خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسنا. ويقول الشاعر أنه حتى فى الأشياء التى نعتقد بأننا نعرفها مثل النار فأننا إذا لم نجربها فاننا لا نعرف عنها شيئا وكذلك نشوة الحب لله تعالى فاننا لا نعرف أبعادها فى النفس البشرية إلا إذا جرَّبنا لقاء الحبيب بعد الهجر والوجد.

والعلم الإلهى والإيمان بالله يأتيان عن طريق السمع والبصر وهما النافذتان المطلتان على العالم الخارجى. وهما يستقبلان مختلف الأمواج الضوئية والسمعية والتى يترجمها العقل حسب طويته إلى فكر وعمل. وأنه لابد لنا أن نطهر أجهزة الاستقبال وجهاز الترجمة

من أدران الماديه والأنانيه وبمواصلة الذكر والحمد والأعمال الصالحه حتى نصل مرتبة الطمأنينة ونبدأ من هنا مرحلة السير إلى مقام الرضا والسلام حيث تتفتح عين اليقين ونرى الحقيقة واضحة وما خفى من أمور كثيرة وفى ذلك يقول تعالى «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» (س ١٥ / الحجر / آ ٩٩) وأهم حقيقة تتكشف للأنسان هى أن وعد الله للمؤمنين ودخولهم الجنة وخلودهم فيها حق كما قال تعالى «والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا» (س ٤ / النساء / آ ١٢٢) فإذا ماأوتينا اليقين وأصبحنا نرى الأشياء بعين اليقين «وهى الحاسة الروحية المطهرة المقابلة للبصر» التى تنفذ إلى حقائق الأشياء بدون عائق فان عقولنا تكتسب بإذن الله علما لَدُنيّاً هو علم اليقين وهو لا يتأتى إلا لأولياء الله الصالحين – ولقد ذكر فى القرآن الكريم كيف أن الكافرين الضالين وقد حُرِمُوا من عين اليقين وعلم اليقين فانهم لا يرون مصيرهم فى الآخرة من ضنك وعذاب حتى يلاقوا ربهم وتتكشف لهم الحقيقة الناصعة « .. فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» (س ٥٠ / ق / آ ٢٢) وعندئذ يعرفون ما سيلحقهم من هم وغم وحزن «كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» (س ١٠٢ / التكاثر / آ ٥ – ٨).

٥٩ - حواسنا الروحيـة

حواسنـــا الروحيـــة خمسة كلهـــا مشبكـــة ف
بعضها وتنجلى بالتقى وعلم اليقين
إن واحـــدة قوتهـــا زادت ساعـــدت أختهـــا حتى
يكمل نموهم فى قلب السالك الأمين
وساعتهـــا نعـــرف نفسنـــا ونحس بالفطـــره
والروح الأعلى ونسير فى طريق الصالحين
والعـــارف بربـــه حـــواسه الروحيـــة ناميـــة مـــاشى
فى النور وقلبه يسبح مع القِلَّه الآخرين

....

إن حواسنا الروحية هى المطابقة لحواسنا الجسدية من سمع وبصر وتذوق وشم وملمس - وهذه الحواس هى التى ستشعر بنعيم الآخرة المتمثل فى الجنة وما فيها من فاكهة ترضى كل الحواس ومن جمال الخلق المتمثل فى الحور العين ومن الانسجام الموسيقى الهادى المتمثل فى قوله تعالى «لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما * إلا قيلا سلاما سلاما» (س ٥٦ / الواقعة / آ ٢٥ - ٢٦) أما الضالون المغضوب عليهم فان حواسهم الروحية متوقف نموها وهم يشعرون بعذاب الآخرة من آلام وزفرات وشرب «الحميم الآن» وأكل الضريع وشجرة الزقوم علاوة على ما يلاقونه من سوء المعاملة وغضب الله عليهم.

ويذكرنا الشاعر أن هذه الحواس الروحية لا تنمو ولا تنجلى

إلا بتقوى الله وتطهير النفس وأنه إذا تقوت إحدى الحواس الروحية فينا «مثل الفراسة أو الرؤيا أو السمع من بعد» فانها تساعد الحواس الروحية الاخرى حتى يكتمل نموها جميعا فى النفس المطمئنة وحتى يملأها اليقين بالله وملائكته ورسله وكتبه وإذا ما وصلت إلى هذا المقام فان حواسها الروحية ترى الكثير من آيات الله التى تزيد المؤمنين إيمانا مع إيمانهم وأنه يجب إلا تتوقف مسيرة السالك إلى الله عند هذه الكرامات «أنظر رباعية رقم ٥٠» بل يجب مواصلة السير حتى يفنى السالك فى حبه لله ويستقر فى قلبه حق اليقين، ليفوز بجنة الخلد التى وعدها الله لعباده المقربين «والسابقون السابقون * أولئك المقربون * فى جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين» (س ٥٦ / الواقعة / آ ١٠ – ١٤)

٦٠ - لا أدرى

أمـام أميـره الفـاسق العـاصى صار يـردد آيـة
الميثاق بين الرب والـروح
ويقـول لا أدرى يـارب مـن أنـا وكيـف أنت
القريب وأنا البعيد بالـروح
صرخ فيـه الأميـر يـا جاهـل قـل لى شىء تعرفـه
وَإلاَّ أخلّى دمك يسيح
قـال لـه إن «لا» النفى أكـدت أحديـة البـاقى
وكيف تدرى بالعقل ما أحسّه بالـروح

....

أراد الشاعر أن يُظهر غطرسة الحكام وجهلهم وظلمهم للعباد وهنا نجد الرجل الصوفى العارف بربه يرتل أمام أميره الفاسق آية الميثاق وهى «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» (س ٧ / الأعراف / آ ١٧٢) وقد سماها الشاعر بآية الميثاق لاننا شهدنا على أنفسنا أمامه بانه هو الرب الخالق وما يترتب عن هذا من أداء واجباتنا فى العبادات وعمل الصالحات والشكر والحمد لله.

ويتابع الشاعر الصوفى بسؤال نفسه «من أنا» فقد ضاع بين «الانات» الكثيرة التى تتنازع على السيطرة على عقله «انظر الرباعية رقم ٤٩» وهو لا يدرى كيف يفسر شعوره بالبعد من خالقه وبين

قوله تعالى « .. ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» (س ٥٠ / ق / آ ١٦). والامير الجاهل لا يفهم شيئا مما يقوله العارف بربه وخاصة أنه قال بأنه «لا يدرى» وهدده بالقتل إن لم يخبره بشيء يعرفه فما كان من الصوفي إلا أن أفحمه بما لايفهمه إلا العارفون بالله فذكر للأمير أنه لا يصح أن يستخف بكلمة «لا» وهى التى أكدت أحدية الباقى فى الشهادة «أشهد أن لا إله إلا الله» وعرفه أن عقله القاصر لا يدرك ما فى روح الصوفى من استغراق فى حب الله وهو أى الأمير مغموس فى طين الدنيا وكبرياء الأثم والعدوان.

٦١ - الواصل والسالك

الـواصل لربــه فى لحظــه يصيــر مــع الملايكــه
يسبح معاهم حول عرش المجيد
والسالك لربــه مــاشى فى الدنيــا على قدميــن
والواصل طاير بالبراق فى الوجود
فـرق بيـن اللى يومـه خمسيـن ألـف سنــه ممــا نعـد
وبين إللى يومه ذرة زمن محدود
السلوك فى الأرض جهاد مـع المـادة ومـا اتخلـق
منها والروح جايّه م النور وإليه تعود

....

يذكر لنا الشاعر بعض الصفات التى يتحلى بها الواصل لربه وهو ما زال حيا على الأرض فانه يمكن أن يطرح روحه فى لحظة فتكون مع الملائكه تسبح معهم "حول عرش الله عز وجل وإنه يمكنه أن يطير فى الوجود على «البراق» بسرعة تفوق سرعة النور ومصاحبته للملائكه تجعل يومه خمسين ألف سنة مما نعد مصداقا لقوله تعالى «تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»(س ٧٠ / المعارج / آ ٤).

وأما المبتدىء فى سلوك طريق الله فانه لا زال فى سجن الجسم يمشى على قدمين ويومه أقل من لحظة - إذا قورن بيوم الواصل وهو يصارع المادة وما اتخلق منها من إنس وجن وحيوان ونبات متجها إلى الله وراغبا فى رضاه حتى ترتقى نفسه وتمتلىء تدريجيا

بنور الله وتصل إلى المقام المحمود فى الدنيا أو يختاره الله إليه مبشرا إياه بالخلود فى جنته.

وهناك بعض الخلط بين الروح والنفس والضمير ويمكن تعريف الروح أنها نفحة من روح الله وهى الطاهرة وتوجد فى كل إنسان فهى الباعثة للحياة، وهذه الروح القدسيه قد يغطيها الجهل والصدأ والضلال المنبعث من النفس الأمارة بالسوء المجذوبة للجسم المادى. والصوفى يحاول أن يجاهد هذه النفس حتى يحيل الأمواج المادية المنبعثة منها إلى أمواج منسجمة مع الأمواج الخارجة من روحه الطاهره.

وهذه النفس هى التى تُبْعَث وتحاسب وتَنعم أو تشقى حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا. وإذا ما تقدم السالك فى طريق الله فان نفسه تتطهر وتصبح شفافة لنور الروح كما ذكر فى القرآن الكريم «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ..» (س ٥٧ / الحديد / آ ١٢) وأما ضمير الانسان فهو جزء من الروح وفيه أودعت الفطره التى تجعل النفس تميز بين الخير والشر والهدى والضلال. وقد ذكرت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى «فطرة الله التى فَطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله» (س ٣٠ / الروم / آ ٣٠).

لِـمَ أخـاف المـوت وقـد جربتـه ثلاثـا مـن قبلـه
وفى كل مرة كنت من الفائزيـن
خـرجت مـن عالـم الجمـاد وعالـم النبـات ثـم مـن
عالم الحيوان وأصبحت إنسا على الأرضيـن
وبعـد مـوتى عليهـا سأحلـق فى السمـا بنفسى
وروحى واجتمع بالصفوه المقربيـن
وأخيـرا أفـارق حالـة السكـر لأدخـل رحـاب الفنـا
مرددا «إنا لله وإنا إليـه راجعـون»

....

يذكرنا الشاعر فى هـذه الرباعيـة بمراحـل إرتقـاء النفس «وقبـل نظريـة النشوء والارتقـاء لداروين بستـة قـرون» فهـو يتصور أن الله سبحانـه وتعـالى وقـد خلـق الانسان مـن طيـن كالفخـار أراد لنفس الانسان أن تمر من حالة الجماد إلى حالة النبات ومـن حالـة النبـات إلى حالة الحيوان حتى نفخ الله فيه مـن روحـه وأصبـح إنسانـا على الأرض. وانه فى كل حالـة كأنـه مـات وبعث فى نشأ جديـد وعلى هذا يكون قد جرب الموت ثلاثة مرات وكان من الفائزين فى كـل مرة إذ أنـه إرتقى بعـد كـل منهـا إلى حالـة أرفـع أو أكثـر شعـورا. وبالمثل فانه يتصور أن بعد موتتـه الأخيرة - بفـرض أنـه كـان مـن المؤمنين الذيـن عملـوا الصالحـات فـان نفسه وهى تعيش بجسمهـا الأثيرى مع روحه فى البـرزخ ستكـون طليقـه وفى صحبتهـا صفـوة من الابرار الصالحيـن. ينتظـرون اليـوم الـذى يشاهـدون فيـه وجهـه

الكريم فهم دائمو التسبيح والذكر مستغرقون فى حب الله لدرجة الوجد والهيام «وهذه -حالة السكر التى يعنيها الشاعر» حتى يأتى يوم الحساب فيدخلون بإذن ربهم جنات الخلد ويستحقون أن يحظوا بجنة الله الخاصة كما ذكر فى القرآن الكريم «يأيتها النفس المطمئنة * إرجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى» (س ٨٩ / الفجر / آ ٢٧ - ٣٠) وهناك تطور للنفس فى حياة الفرد فى الدنيا وهذا ما ستعالجه الرباعية رقم ٧٣

٦٣ - صحوة الحيـاة

كِتيــر م النــاس تعيش حياتهــا كلهــا نايمــة لا
حاسِّين بالروح ولا بدورهم ف الوجود
مثـل الفـارس الأرعـن راكب جـواده وبيجـرى لا
حاسس بالفرس تحته ولا بهدفه المقصود
قـف لحظـة أيهـا الفـارس وفكـر فى روحك إللّى
لابساك وتذكر شهادتها أمام الخالق المعبود
واشرب رحيــق الحيــاة صفــوا وأنت صاحى
واتمتع بالرضا م الـروح ومـن رب ودود

....

يذكرنا الشاعر بقول الأمام الغزالى رضى الله عنه «فان الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» وذلك لأنهم فى حياتهم الدنيويه غارقون فى إشباع رغباتهم ولا يتوقفون بعض الوقت ليتأملوا فيما بداخل أنفسهم ولا يعرفون الدور الذى يمكنهم أن يؤدوه فى حياتهم القصيره ولا بالهدف الذى الذى يريدون أن يصلوا إليه، وقد شبه الشاعر أمثال هؤلاء بالفارس الأرعن الذى يعدو بحصانه فى سرعة فائقة لا يشعر بالحصان الذى تحته ولا بالهدف الذى يريد الوصول إليه. وقد شبَّه أحد الصوفيين القدامى هؤلاء بمثل سائق العربة التى يجرها حصان فهو دائما مشغول بتغذية الحصان وصيانة العربه والسير بها ولكنه لا يعرف إلى أين هو ذاهب لأن «السيد» بداخل العربة «أى نفسه» فى نوم عميق.

وهدف الشاعر أن ينبه هذا النائم بأنـه روح مـن عنـد الله وأنهـا حملت الأمانة وأخذت ميثاقا مع الرب بعبادته وتنفيـذ مشيئتـه. فهـو يحاول إيقاظه حتى يؤدى واجبه فى الحيـاة نحـو الله ونحـو الخلـق ونحـو البيئة التى يعيش فيهـا حتى يـرضى الله ويـرضى عـن نفسه ويتمتع برحيق الحياة الصافى من غير خوف أو حـزن أو أسى. وأنـه إذا إنتبه وأيقظ روحه فانه سيتذكر آيات الله وينعم بتوجيهها ومعانيها ويتخلص من الغفلة والجهل اللذين همـا آفـة معظـم البشر والله عـز وجل يقول «والذين إذا ذكروا بآيات ربهـم لـم يخـروا عليهـا صمـا وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعيـن وإجعلنا للمتقين أمامـا * أولئك يجـزون الغرفـة بمـا صبـروا ويلقـون فيها تحية وسلاما * خالدين فيهـا حسنت مستقـرا ومقامـا» (س ٢٥ / الفرقـــان / آ ٧٣ – ٧٦).

٦٤ - عناق النور

حواسنـــا الخمسة تِعرّفنـــا بالظاهـــر والظاهـــر
مختلف عن بعضه وعقولنا فى أوهـام
لا تنظر وظهرك فى إتجاه النور فما ترى أمـامك
إلا ظلالا لجماد ونبات وأجسام
النـور كله واحد والحقيقة مخفيـة عنـا ورا ستايـر
من خلفها ستاير من سحب وغيوم وظلام
ما أحلى عنـاق النـور ففيـه أجمـل نشوة لمشتـاق
بعيدا عن حواس الـ «أنا» وعقل العوام

....

يريد شاعرنا أن يعرفنا بأن ما نراه بحواسنـا الخمسة مـا هى إلا أوهاما ولو أسميناهـا أسمـاءا وهى وأن كـانت مختلفـة عـن بعضهـا ظاهريا إلا أنها كلها مخلوقة من معـادن الأرض والمـاء ومـن أشعـة الشمس والهواء ولكننا فى جهل مطبق عن حقيقتهـا وكيـف خلقت وتنوعت وأن ما نراه بهذه الحواس ما هو إلا ظـلال لهـذه الأشيـاء. والله سبحانه وتعالى وهو النور. والبـارىء والخالـق والمصور علّمنـا أسماء ظاهر الأشياء ولكنه تعالى لـم يطلعنـا على حقيقتهـا التى تعى بها عقولنا وتحير أفكارنـا.

والشاعر يذكرنا أن أرواحنا خلقت من هذا النور الالهى ولكـن هذا النور مخفى عنا بحْجُب من السحب والغيوم وظلمـات المـادة والجهل إذ يقول تعالى «أو من كـان ميتـا فأحيينـاه وجعلنـا لـه نـورا

يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون» (س ٦ / الانعام / آ ١٢٢).

والشاعر يريد أن يعانق النور ويتحد معه ليشعر بأجمل نشوة روحية بعيدا عن حواسه الجسدية وأنانيته وبعيدا عن عقله المغموس فى مفاتن الدنيا والذى يتمثل فى عقل الجهّل والعوام. وعناق النور هو التعلق به والتفانى فى الاخلاص له وكيف لا يتفانى المؤمنون فى حبه تعالى وهو القائل فى كتابه الكريم «هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ وأعد لهم أجرا كريما» (س ٣٣ / الاحزاب / آ ٤٣ - ٤٤).

٦٥ - الصاد والنون والألـف

يـــا مـــن كتبت الصاد على العيـــن وقلبت النـــون
على الحاجب ولفلفت الألـف فى الآذان
وشاهـــدت العقـــل اللّى آمـــن بدنيـــاه وحـــواسه
ينسج أسطـــورة حياتـــه بخيـــط الأمـــل والأوهـــام
شُغِلْنـــا بهـــا عـــن حقيقتنـــا كأننـــا فى ظلمـــة الليـــل
البهيم نبحَث عن القبلة فى كـل مكـان
ولمـــا يطلـــع فجـــر آخرتنـــا ساعتهـــا نعـــرف ميـــن
وصل للقبلـــة وميـــن إنحـــرف وميـــن تـــاه فى
الظلام

....

يقصد الشاعر بهذه الحروف أوائل السور «سورة ص ون والألف فى «ألـم» وكلها روحانيات إذا أوتى الانسان السمع وهو بصير. ولكن العقل الذى تناسى الميثاق فانه جعل حواسه المادية شغله الشاغل فى الحياة وهكذا فان حياته تذهب سدى لأنها بُنِيتَ عل كل شىء زائل وخادع.

والشاعر يحذرنا أننا إذا شغلنا بالدنيا ولم نربِ نفوسنا بالمحبة والتدبر والعزيمة حتى تنسجم مع المشيئة الالهية فاننا سنكون من الخاسرين - وشبه كل مفتون بدنياه برجل يبحث عن القبلة فى ظلمة الليل البهيم «أى يبحث عن الخلاص والنجاة والنور» وما هو بواجدها لأنه أعمى البصيرة ولا نور له وقد قال تعالى «ومن لم

يجعل الله له نورا فما لـه مـن نـور» (س ٢٤ / النـور / آ ٤٠) والله سبحانه وتعالى يهدى من يشاء إلى الصراط المستقيم. فهؤلاء الذين اتقوا الله حق تقاته فإنه يزودهم بنور من عنـده يهديهـم إلى الهـدف وينير ما حولهم حتى تقتـدى النـاس بهـم وهـم يدعـون الله بالمزيـد من هذا النور والله تعالى يقول «يقولـون ربنـا اتـم لنـا نورنـا واغفـر لنـا إنك على كـل شيء قديـر» (س ٦٦ / التحريـم / آ ٨).

ونسرد فيما يلى ما تَذكّرنا الحروف المذكوره فى الرباعيـه مـن بعض الآيات القرآنيـه :

١ . «ص والقرآن ذى الذكر * بـل الذيـن كفـرا فى عـزة وشقـاق» (س ٣٨ / ص / آ ١ و ٢) وتفسير عزة وشقـاق إنهـم يتغنـون بمدح أنفسهم ويفرقّون بين الناس وذلك لأنهم تنـاسوا الذكـر.

٢ . «ن والقلم وما يسطرون * ما انت بنعمـة ربك بمجنـون * وان لك لاجـرا غيـر ممنـون * وانك لعلى خلـق عظيـم * فستبصر ويبصرون * بأييكـم المفتـون» (س ٦٨ / القلـم / آ ١ – ٦)

٣ . «الم * ذلك لكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنـون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل مـن قبلك وبالآخـرة هـم يوقنـون» (س ٢ / البقـرة / آ ١ – ٤)

٦٦ - يا مبدع الخلق والقرآن المجيد

يـا مـن خلقت الخيـر والشر فى الدنيـا وتعـاليت
فوق الخليقة بالصفات والأسماء
آيـاتك الكبـرى فى الخلـق شاهـدة على كمـالك
الأعلى يا مبدع الأرض وما حـوت السمـاء
أهديتنـا قـرآنك ذكـرى لكـل مـن آمـن وشفـاءا
للقلوب ورحمة لمن خاف يوم اللقـاء
فمـن غيـرك قـادر على تصويـر جمـال يـوسف
ونعيـــم جنـــاتك وهـــول الجحيـــم فى
حروف* تشع بالأضواء

....

قال تعالى «إنا هديناه السبيل إما شاكـرا وإمـا كفـورا» (س ٧٦ / الانسان / آ ٣) والشاعـر يذكرنـا أن لكـل شيء نقيضه فالخيـر والشر مخلوقان وعلى الانسان أن يُقيِّم سلوكه وأعمالـه بيـن هذيـن النقيضين حتى يرجح دائما كفة الخيـر.

ويذكرنا الشاعر أنـه على السالك سبيـل الله أن يتدبـر آيـات الله فى خلقه فان كل ما يشاهده يشهد على إبـداع الله سبحانـه وتعـالى فى كل خلقه وأن يستزيـد مـن العلـم حتى يكتشف أسرار الخليقـة فيزداد تقى وورعا وقد قال الله تعالى « .. أنما يخشى الله من عبـاده العلمـاء» (س ٣٥ / فاطـر / آ ٢٨)

ولقـد أهدانـا المـولى سبحانـه وتعـالى القـرآن المجيـد معجـزة

المعجزات وآية الله الكبرى ووصفه تعالى فى قوله «الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور .. » (س ١٤ / إبراهيم / آ ١) فهو نور وهو هدى وهو شفاء للقلوب «النفوس» وهو رحمة لمن تبع هداه .. وهو الغذاء الروحى الذى لا ينضب معينه ولا تهرم كلماته وهو الغذاء العقلى لمن تدبر علمه وآياته وقصصه.

ويذكر لنا الشاعر قصة يوسف فى القرآن كمَثَل للمعجزة الكبرى فى وصف مشاعر الانسان من غيرة وإجرام ومن حب وهيام وعفة وسلام وصبر على الأذى والظلم، وحب للأهل وتسامح مع الذين آذوه، وصداقة مع الجيران «فى السجن»، والاحسان فى العمل والعدل فى المعاملات ولقد منَّ عليه الله بالجمال الجسدى والروحانى كما شهدن على ذلك سيدات قصر العزيز إذ قلن « .. ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» (س ١٢ / يوسف / آ ٣١) ولقد اعتصم بالله طول حياته وقاوم النفس الأمارة واتقى الله فنصره وأيده « .. ومن يتق الله يجعل له مخرجا» (س ٦٥ / الطلاق / آ ٢) وقد كان النور الذى نزل معه مقدمة لرسالات الرسل الكرام موسى وعيسى ومحمد. ويذكر لنا الشاعر أيضا إعجاز القرآن فى وصف الجنة ووصف هول الجحيم فى آيات كثيرة كل منها تعطى معلومة جديدة وتثير مشاعر متباينة فى نفس الانسان.

٦٧ - الروح والنفس والجسم

الــروح اتعــذبت مــن نفيهــا ف الأرض أكثــر م
الجسم إلِّلى أتخلق منهـا
مشتاقــة دايمــا لتسبيحهــا ويّــا المــلايكى قريبــة م
الرب منعمة مرضية م المولى
عــذاب الجسم فى فــراق الــروح عنــد موتتنــا
وِعند الحساب النفس يَتْجازى حسب أعمال
وجْــد المحب آهـــات م القلب نـــابضة وحب
الودود نور للنفس يهديها ويرفعها

....

يذكرنا الشاعر أن وجود روح الانسان فى الجسد على هذه الأرض ما كان إلا نفيا لها فهى معذبة بشعورها بهذا النفى وذلك بعكس الجسد الذى خلق من الأرض وسيعود لها بعد إنطلاق الروح فهو لا يشعر بهذا النفى.

والروح فى إشتياق دائم لحياتها الأولى وهى قريبة من الخالق تسبح مع الملائكة حول عرش المجيد وفرق كبير بين سجنها فى الجسم البالى وحياتها الطليقة فى جنات النعيمّ مع الصفوة المقربين.

والجسم ولو أنه لا يتعذب بمشاعر النفى إلا إنه سيتعذب عند فراق الروح له فهى التى جعلته يحيى ويشعر ويعقل ويسعى فى الأرض. والنفس التى بعثت من إتصال الروح بالجسد ستشقى أو ستنعم فى الاخرة حسب سعيها فى الدنيا، فان حافظت على العهد

وأدت رسالتها على الوحه الأكمل فانها ستهنأ راضية من الله عز وجل فى جنة الله الخالدة ويقول تعالى «ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها» (س ٩١ / الشمس / آ ٧ – ٩).

والشاعر يذكرنا فى السطر الرابع أن الوجد الذى يحس به السالك طريق الله يكون مصحوبا بألام البعد والفراق وباعثا للاستغراق فى حب الله ودعوة من القلب لتخفيف الآلام بالقرب والوصال. وقد شبهها الشاعر بالآهات الخارجة من القلب النابضة معه فى ترتيل روحانى جميل .. أما حب الودود جل وعلا فهو نور يملأ القلوب بالبشرى بقرب عودة النفس والروح لرحاب رحمته وكرمه.

٦٨ - سر الروح

مـا خلـق الـرب سرًّا فى الأرض ولا فى السمـا
أكبر من الروح فى جسمها البالى
علّمنا تعالى أسماء كل شىء فى دنيتنا وعن
الروح قال «هى من أمر ربى» الواحد
المتعالى
عرّفها للرسول فى إسرائه ومعراجه فأراه
طاقتها إذا انطلقت من سجنها الحالى
سرها خافى على عقولنا فلا نحس قوتها إلا
إذا ذابت النفس فى الروح من فرط
حبها للباقى

....

قال تعالى فى كتابه الكريم «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» (س ١٧ / الاسراء / آ ٨٥) فالروح سر إلهى لا يمكن التوصل إليه أو معرفته بعقولنا. ولقد وهبنا الله جل وعلا نعمة العقل والحواس المتصلة به حتى نميز الأشياء ونعطيها أسماءا وحتى نميز طريق الخير ونختاره مسلكا لنا فى الدنيا.

ولقد أراد المولى أن يعرف الرسول بطاقة الروح وقوتها وكيف أمكن بها أن يسرى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأن يعرج فى السماء حتى سدرة المنتهى وما بعدها حتى الحضرة

الالهيـة وذلك كلـه فى لحظـات قصار فكـأن الـروح خارجـة عمـا نسميه المكان والزمـان وعـن الطاقـة الأرضيـة «التى اصطلحنـا على حسابهـا بضرب «الكتلـة» فى مربـع سرعـة الضوء ط = ك × س^{٢}» ولا عجب فى ذلك فان الروح التى فينا ما هى إلا بضعـة مـن روح الواحد المتعال أودعها سبحانه ومعها الفطرة فى قطعة مـن صلصال كالفخار. ونتج عن هذا الاتصال، النفس الانسانية التى أعطيت قيادة الشخص فى الدنيا واكتفت الروح بدورها فى بعث الحيـاة والرقابـة وتسجيل أعمالنا ونياتنا وأسرارنـا.

ونحن فى حياتنا الأرضية لا نتمكن من الاحساس بهـذه الـروح الطاهـرة التى تكمـن بداخلنـا والتى تراقبنـا إلا إذا ذابت النفس فى إستغراقها فى حب الاله الخالق وعبادته وهذا ما يهدف إليـه السالك طريق الله بايمانـه وإحسانـه. ويصفهـم المـولى فى قولـه « .. أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ..» (س ٥٨ / المجادلة / آ ٢٢).

٦٩ – نور محمد

الفاكهة هِيَّه إللى جابت الشجرة ولولا الأمل
فى الثمرة ما كان حد زرعها
والرب خلق الأرض للأنسان ولولا علمه بنور
محمد فى الخليقة ما كان صوَّرها وأبدعها
ونور محمد اتخلق قبل آدم وسطع فى عقل
«الامين» حتى يوحد الأديان ويجمعها
ويكون قدوة حياتنا فى الدنيا وشفيعنا ف
الآخرة ويشع نوره على الأجيال بأجمعها

....

يعتقد الصوفيون أن نور محمد الذى يمثل الكمال الانسانى هو أول خلق الله فقد أراد الله أن يجعل الانسان خليفته على الأرض ويجعل الملائكة تسجد له كما ذكر فى القرآن الكريم «فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين» (س ٣٨ / ص / آ ٧٢) ويذكرنا الشاعر أن الله سبحانه وتعالى لسابق علمه بامكانيات الانسان عند وصوله للكمال كما أراد فانه تعالى صور الأرض وما عليها أبدع تصوير.

وحتى يتأمل الانسان عظمة الرب وحكمته ورحمته – فقد توارث النور المحمدى الرسل والأنبياء وأولياء الله الصالحين فأثبتوا أنهم أهل أن يكونوا خلفاء لله فى أرضه، وأما العامة من الناس فسيهلك أجيال منها حتى تصل قلة منهم إلى الكمال المنشود.

ونقرأ فى سورة عبس «قتل الإنسان ما أكفره * من أى شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدّره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره * كلا لما يقض ما أمره» (س ٨٠ / عبس / آ ١٧ - ٢٣).

ويذكر الشاعر أن هذا النور المحمدى تجلى ساطعا فى عقل ونفس الرسول الكريم وقد وصفه تعالى فى قوله «وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا» (س ٣٣ / الأحزاب / آ ٤٦) وهذا النور لن يخبو من عالمنا ومن الأجيال المتلاحقة حتى قيام الساعة، وهكذا جعل الله لنا قدوة فى الحياة الدنيا فى شخص الرسول الكريم كما أنه سيكون شفيع المؤمنين فى الآخرة.

٧٠ - النُسُك والمعرفة

الاحسان فى عبادة الرب هوّه النسك وقدوتنا
فيها الرسول ذو العزم والارادة
والمعرفة نابعة من النُسُك وهيّه غاية المريد
فى جهاده لأنها روح التقى وعماده
والعارف بربه مهدى وهادى وشعوره
بالباطن فى انسجام مع الظاهر إللّي قُصَاده
حياته فى الدنيا شريعه وقدوه ورسالته
تنفيذ المشيئه مع أهل التقى والورع رواده

....

يشير السطر الأول من الرباعية إلى آيتين فى القرآن الكريم جاءتا إشادة برسولنا المصطفى عليه صلاة الله وسلامه وهى (١) «قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين» (س ٦ / الانعام / آ ١٦٢).

(٢) «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما» (س ٢٠ / طه / آ ١١٥). ولقد مَنّ الله على الأمة الأسلامية بالرسول الكريم الذى أحيا مناسك الاسلام أو مناسك الفطرة التى أراها الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم إستجابة لدعائه «ربنا واجعلنا مسلمين * ومن ذريتنا أمة مسلمة * وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم» (س ٢ / البقرة / آ ١٢٨).

وتعتبر المناسك تدريبا عمليا أو دروسا عملية بواسطتها يمكن

رفع النفس الانسانية من مقام إلى مقام حتى يدخل الإيمان فى القلوب وتكتسب علما لدنيا يُعرّفها حقائق الأشياء والمخفى من أسرارها وهكذا ينسجم فيها علم الظاهر مع علم الباطن. ويقول تعالى «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم» (س ٤٩ / الحجرات / آ ١٤).

وإذا دخل الايمان القلب فانه يكسبه السكينة والسكينة تقوده للمعرفة «فيزداد إيمانا مع إيمانه» ويصبح قدوة للناس مهدياً من الرب وهادياً لخلقِه وهو يمثل شريعة الله ويطبقها على نفسه وعلى من أراد أن يسلك معه طريق الله المحفوف بالمكاره والمتنزه عن الإثم والفجور. والعارف بالله يطلب من المريد الطاعة العمياء لأن كل أقواله وأعماله مباركه من الحق جل وعلا وهدفها أن يكونوا جميعا جنود الله فى أرضه لينفذوا المشيئة الالهية ويفوزوا بالجزاء الأوفى.

٧١ – قلب المؤمن

فى حيــاتك دوَّر على صاحب القلب السليــم ولا
تَغُرّك الألقاب والغنى والمظاهر
ده القلب السليــم هُــوّه اللى يقــربك للمــولى لا
قناطير الذهب والنياشين وعقلك الباهر
فيــه الــروح اللى أودعهــا الــرب آدم بــدء
الخليقـــة وعتـــم على نورهـــا
فى الأجيال كل فاجر
فى مِرَاياتــه الستــة يشوف الــرب نفسه وفى
نبضاته يسمع تسبيح كل عابد وشاكر

....

ينبه الشاعر السالك طريق الله أن يبحث عن الولى ذى القلب السليم والنفس الكاملة التى تطهرت من أدران الماديه والأنانيه حتى يتخذه مرشدا فى حياته ويكون له نعم المعلم ونعم الصاحب وأنه يجب ألا يغتر بعقله أو بمجهوده الفردى فى تهذيب النفس إذ أن تربيتها تحتاج إلى الولى العارف بالله العالم بأسرار النفس حتى يرعى نموها بالتدريج ويعطيها ما يناسب من الغذاء الروحى فى مراحل إرتقائها.

ويتخيل الشاعر أن هناك ستة مرايا فى القلب السليم كلا منها متجهة إلي جهة معينة (شمال، جنوب، شرق، غرب، فوق، تحت) وهكذا تتكشف جميع الجهات. وأن الله سبحانه وتعالى عندما ينظر

إلى هذا القلب فانه يشاهد نفسه فى المرايات المصقوله فينعكس منها نور الله فى كل مكان. وأنه تعالى عندما يسمع نبضات هذا القلب السليم فكانه يسمع تسبيح العوالم بحمده وشكره.

ولقد منَّ الله علينا بان أنزل رسوله المصفى عليه صلاه الله وسلامه ليكون مثلا للأنسان الكامل وقدوة للأجيال. وسراجا منيرا فى حياته وبعد مماته، وهذا النور الذى نزل فيه ومعه لن يخبو فى قلوب أولياء الله الصالحين فى كل جيل، وعلى السالك طريق الله أن يدعو الله أن يوفقه لمصاحبة أحدهم والتزود من علمه ونصائحه، فهم ورثة نور رسول الله الذى أعزه الله بقوله الكريم «إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسليما» (س ٣٣ / الأحزاب / آ ٥٦).

٧٢ - موتوا قبل أن تموتوا

آيــة الــرسول الكبــرى معراجــه في السمـــا
ولقاء روحه مع الحق مـولاه
وأبــو بكــر لمــا صدّقــه هللّت كــل الملايكــه
وارتفعت روحه بصدقها أعلاهـا
مـاشى مـع الأحيـا في دنيتنـا وروحــه في السمـــا
تسبح بحمده من اولاها لأخراهـا
جــــربت نفسه الفنـــا قبـــل موتتهـــا وعــــاش
بالروح مع الناس وعند اللِّى سوَّاهـا

....

يذكرنا الشاعر بقصة الاسراء والمعراج وأنها آية ومعجزة الرسول الكبرى، فقد خصه الله بها جزاءا وفاقا على أخلاصه فى الدعوه وتفانيه فيها كما ظهر فى رحلته ﷺ للطائف وما أصابه فيها من أذى وما أظهر من التقى والتوجه لله وهو يقول ويكرر «اللهم إن كان بك علّى غضب فلك العتبى حتى ترضى».

وأول من صّدقه بعد سماع القصة ممن سمعوها من الرسول الكريم كان أبو بكر الصديق وهكذا نعت «بالصديق» وإستحق الولايه وورث النو المحمدى وأصبح كما وصفه الرسول ﷺ أنه فى الدنيا يمشى مع الأحياء وروحه دائما فى السماوات تسبح بحمد الله - وكأنه جرّب الفناء قبل الموت «فناء النفس فى حب الله» حتى يرتفع بها من مقام إلى مقام حتى تصل إلى النفس الكامله

التى تتيح للروح الخالده فيها أن تعلو للسماء وتسبح مع الملائكه حول عرش المجيد.

وأولياء الله الصالحون يهدفون بجهادهم للنفس أن يجربوا موتها أو فناءها حتى يرتفعوا فوق أجسادهم ويشاهدوا من آيات الله ما شاء ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وينعموا بالسكينة والقرب من الله فى حياتهم بجنته الخاصة بعد مماتهم. وفناء النفس هو جهادها وتطهيرها بالاستغفار والتقوى. وفى السطر الرابع من الرباعيه يذكرنا الشاعر بسيدنا أبى بكر ثانية بان نفسه جربت الفنا فى حياتها على الأرض فقد كانت تعيش بالروح مع الناس فى الدنيا وكذلك تحيى بالقرب من خالقها ومولاها الذى سوّاها وألهمها طريقها وتقواها.

٧٣ - إرتقاء النفس

طريق العلا للنفس العبادة والصبر وتذويب
«الأنا» فيها ف الـ «أنا» الأعلى
وغفلة الانسان عن الاخره عتّمت على الروح
اِللّى فيه فلا يرى جادة الحسنى
وبالذكر تَطَمَن قلوبنا وبالعزم تتطهر
نفوسنا والعقل يتفتح ويتدبر آياته الكبرى
والنفس تترقى من مقام لمقام حتى تفوز
بالود والرضا وتخلد بعدها فى جنة الماوى

....

إن النفس التى نمت مع الانسان من طفولته وترغْرَعَت فى شبابه وأينعت فى عنفوانه تختلف فى كل إنسان ففى البعض تصل فى حياتها الأرضية إلى الكمال المنشود أى إلى الانسان الكامل وذلك بالعبادة والصبر ومحو الانانيه وتذويبها فى حب الله وعمل الصالحات ورغبته فى الاتجاه بكل طاقاته لتنفيذ المشيئه الالهيه. وقد ذكرنا المولى جل وعلا بانه خلقنا فى أحسن تقويم – عندما كانت النفس الكامله تشف عن الروح الطاهرة التى اودعها الله سبحانه وتعالى مع الفطرة فى قلب الانسان، وأما الذين ظلموا انفسهم وتناسوا الأمانه والميثاق فان الماديه فيهم مع الأنانيه قد عتّمت على ارواحهم فلا ينفذ نورها إلى حواسهم وعقولهم ويعيشون فى الضلاله ولا يهدون إلى طريق الخير والاحسان وهكذا تتردى نفوسهم إلى أسفل سافلين. ويمكن للنفس المترديه «الاماره بالسوء»

أن تـرتقى مـن مقـام إلى مقـام عـن طريـق الذكـر والأمـل والتوبـه والاستغفـار وهكـذا تمـر فى أطـوار وفى كـل طـور منهـا يكتسب الانسان صفـات خـاصه تنبىء عـن حقيقتـه ومـدى إرتقائـه النفسى وهذه الأطوار هى النفس اللوامه والنفس الملهمـه والنفس المطمئنـه والنفس المرضيـه وتصل إلى اعلاهـا فى الكاملـه - وفى كثيـر مـن الناس تقف عملية الارتقاء عندمـا يتنـاسون الميثـاق ويفقـدون العـزم وتستهويهم ملـذات الحيـاة الأرضيـة ومفاتنهـا فهـم يحملـون النفس الامارة مهما علت مراكزهم وشهرتهم بيـن النـاس.

وقد تقف عمليه الارتقاء عند النفس اللوّامه وذلك لفقدان العزم على الارتقاء واكتفائهم بما وصلوا إليه وقد وُصِفوا فى القرآن الكريم «وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهـم والله عليـم حكيم» (س ٩ / التوبه / آ ١٠٦) فإذا ما وصلـوا إلىالدرجـة الثالثـة «النفس الملهمـه» ووقفـوا عنـد ذلك فـان مثلهـم وصف فى القـرآن الكريـم «وآخرون أعترفوا بذنوبهم خلطـوا عمـلا صالحـا وآخـر سيئا عسى الله أن يتـوب عليهـم إن الله غفـور رحيـم» (س ٩ / التوبـه / آ ١٠٢) فإذا اجتازوا هـذا المقـام دخلـوا فى مقـام النفس المطمئنـه ولا ينتكسون بعدها بل تجذبهم رحمة الله للترقى إلى النفس الرضية ثم المرضية حتى النفس الكاملـه.

٧٤ – نور على نور

الجامـــع واحـــد وظلالـــه على الأرض قُببْ
ومآذن وأسوار
بُص للنــور إللِّى جُــوّه مشُ للزخرفــه والهنــدسه
والثريات الكبار
فى الروحانيـات لا توجـد حواجـز ولا ظــلال لأن
نوره تعالى لا يتجزأ لأنـوار
«نـور على نـور» عرّفتنـا أنـه نـور واحـد لا يـراه
منـا إلا ذوو الأبصار

....

يريد الشاعر أن ينبه السالكين طريق الله إلى عدم الافتتان أو الاهتمام بما سوى الخالق الواحد من أشكال والوان وضرب لذلك مثلا مسجدا من المساجد فانه لا يُقَيَّم فى نظر العارفين بالله إلا بالنور الذى يحل به أو ينعكس من قلوب الخاشعين الراغبين فى الله وليس بهندسته وزخرفته وثرياته الكبيرة.

ويذكر الشاعر السالكين بان كل البشر جاءوا نتيجة نفخه واحده من روح الله فى طين كالصلصال كما ذكر فى القرآن الكريم «يا أيها الناس أتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» (س ٤ / النساء / آ ١) وهذه النفس كانت تحتوى على عناصر الخير والصلاح المنبعثة من روح الله كما تحتوى على عناصر الفتنه والضلال

المنبعثه من مادة الأرض وأن النفخة المطهرة من روح الله أو البضعة من نوره تعالى التى توجد فينا تجمع الجنس البشرى بأجمعه ماضيه وحاضره ومستقبله فنفوسنا وأجسامنا ظلال لهذا النور الواحد الأحد وهى إذا وصلت إلى أوج رقيها وشفافيتها يمكنها أن تشعر بهذا الذى يسطع خارجا عن الحواس الأرضية وخارجا عن الزمان والمكان، فإذا تقدم السالك فى طريق الله فانه يستطيع أن يُنَمّى فيه حواسه الروحية فإذا ما نمت أمكنها أن ترى نوره تعالى فى كل شىء : نورا قدسيا واحدا لا يتجزأ لأنوار وإنما يتركز فى «نور على نور» كما ذكر فى القرآن الكريم فى آية النور «الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم» (س ٢٤ / النور / آ ٣٥) ولا يهتدى لهذا النور إلا من أنعم الله عليه من العباد الذين اكتسبوا الحواس الروحية من بصيرة وعلم لدنى بعد أن فنت أنفسهم فى حب الله والرغبة فى لقائه والاستماع لتحيته تعالى وسلامه.

٧٥ - بيوت العارفين

الكـون دايـر ف الفضا بأمـر ربـه يحسدنـا دايمـا
على نعمة العقـل والإدراك
والأرض إللى إتخلقنــا منهــا عــاوزة تِحَــذَّر
ولادهـا م العقـل إللى حيوصلهـم لحافـة الهـلاك
والنحـل أوحى لـه الـرب فيـن يعمـل بيوتـه
وإيـه ياكـل وإزاى يعـرف طريقـه هنـا وهنـاك
والعـارف بربـه عامـل بيوتـه فى قلـوب إللى
اتقـوا وآمنـوا وماليهـا بـالحب لله والاشتيـاق

....

يتخيل الشاعر الكون بنجومه وشموسه وكواكبه وهى تدور فى الفضاء بتقدير العزيز العليم كأنها مخلوق حى يحسدنا على نعمة العقل والادراك لأننا قبلنا تحمل الأمانه والمسئوليه بعد أن رفضتها السماوات والأرض والجبال وكنا فى ذلك من الجاهلين بتقدير مسئوليه المحافظة على الميثاق الذى ارتطنا به مع خالقنا ذى الجلال والاكرام. ويتخيل الشاعر أيضا الأرض التى نحن عليها والتى منها خلقنا وإليها ستعود أجسامنا ومنها ستخرج تاره أخرى أنها مخلوق حى وأن بما لها من عاطفة الأمومة فانها تريد أن تنبه الغافل منا عن مغبة أعمالنا فى هتك الطبيعة وقتل الملايين من المخلوقات وإحداث الدمار والهلاك بين الأحياء منا حتى نُكَفِّر عن سيئاتنا قبل يوم الفصل عندما تبعث الأرض وتتحدث امام الرب موجهة الاتهام لبنى آدم على ما اقترفوه من آثام وفجور وجرائم فى حق أنفسهم

وفى غيرهم نتيجة اعتمادهم على العقل ونسيان قوة الخير الكامنه فى فطرتنا. «إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض اثقالها * وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها» (س ٩٩ / الزلزلة / آ ١ – ٥).

ولقد أوحى الله تعالى لكل حى كيف يعيش على هذه الأرض كما أخبر موسى فرعون عندما سأله عن ربه «قال ربنا الذى أعطى كلّ شىء خلقه ثم هدى» (س ٢٠ / طه / آ ٥٠) ونرى قدرته تعالى فى إيحائه لحشره صغيره مثل النحلة كيف تعمل بيوتها الهندسية التى لا مثيل لها فى الدقة والاحسان وأين تضعها «فى الجبال والشجر وفيما يعرشون» وماذا تأكل «من كل الثمرات» وكيف تتعرف على طريق بيتها «فأسلكى سبل ربك ذللا» كما ذكر فى سورة النحل (س ١٦ / النحل / آ ٦٨ – ٦٩) وكما أن النحل يملأ بيوته الشمعية بالشراب «العسل» الذى فيه شفاء للناس، فكذلك العارف بالله فانه يبنى بيوته فى قلوب المتقين ويملأها بحب الله والأشتياق إليه فى كل وقت وهكذا يؤدى رسالته الموحاه إليه من ربه ويفوز بالرضا وحسن الثواب.

٧٦ - القضاء والأمر

فــرق بيــن إللِّى اتقــدر علينــا فى الدنيــا وبيــن
الأمر لما يصدر م الـرب ذى الجـلال
الخيــر والشر إتخلقــوا معانــا والجــن لمــا شافــوا
احوالنا ف الدنيا اختلط عليهم الحـال
فرعــون الطــاغي اختــار النجــد أُللِّى جاذبــه
ومــوسى أطــاع الأمــر وفــاز بالوصايــا والــوصال
سر الجــزاء خــافى علينــا حتى تــذوب النفس
فى الــروح وتعــرف تِفــرّق بيــن الحقيقــة والخيــال

....

قضاء الله فى معاملاتنا وأعمالنا الدنيويه تجاه تربيه النفس تتركـز فى تعريفنا بالحرام والحلال وإعطائنا حُرية الاختيار أى طريق نسلك «وهديناه النجدين» «أى إلى طريق الخير الصاعد والصعب وطريق الشر الهابط» (س ٩٠ / البلد / آ ١٠) ويمكننا معرفة معنى القضاء الموجه لنا من قوله تعالى «وقض ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا» (س ١٧ / الاسراء / آ ٢٣) فهنا نجد أنه تعالى ترك لنا حرية الاختيار والتصرف ليعرف من مِنًا تمسك بالميثاق ومن خان الأمانه أما أمر الله (أو قضاؤه بالأمر) كما فى قوله تعالى «وإذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون» (س ٢ / البقرة / آ ١١٧) فهذا أمر بالتنفيذ ولا رأى لنا أو أختيار أو تدخل إذ أنه يعتبر تنفيذا للمشيئه الالهية فى الكون ومخلوقاته.

ويشير الشاعر إلى أن الخير والشر مخلوقان معنا فى بذرة النفس

الانسانيه وهما عالمان متضادان ومتنافسان على جذب الانسان فأن كان الجذب خيرا نجونا وارتقت انفسنا وإذا كان الجذب نحو الشر كنا من الهالكين. ولقد تعجب الجن لما رأوا أحوال الناس وصراع الباطل مع الحق فقالوا «وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا» (س ٧٢ / الجن / آ ١٠) — ويذكرنا الشاعر بشخصيتين أحدهما فرعون الطاغى وسيدنا موسى الرسول فأما فرعون فأنه يمثل الكبرياء والعناد فى الحق والاستعلاء على البشر وأما موسى فيمثل المجاهد فى الحق وفى خدمة المعذبين والمستضعفين فى الأرض، ولقد اختار فرعون طريق الشر فنال جزاءه فى الدنيا وهو فى الآخره من المعذبين، وأما موسى عليه الصلاة والسلام فقد دخل الايمان قلبه وأطاع ما أوحى الله إليه به ففاز بتأديه الرساله ورضا المولى.

والشاعر يذكرنا بأن سر الجزاء أى جزاء الله فينا خافى علينا لأننا نحكم بظواهر الأشياء ولأن عقولنا وأفكارنا محدودة بالزمان والمكان ولذلك فأننا لا ندرى تماما إذا كان ما يقع أمام أعيننا من عصيان للناموس الالهى من جانب البشر هو نتيجة كفرهم أم أن باطن الأمر هو تنفيذ المشيئه الالهية كما فعل سيدنا الخضر أمام سيدنا موسى عند قتله للطفل الصغير. ولا يمكن أن تتكشف لنا الأمور إلا إذا تطهرت أنفسنا وأطلقت العنان للفطرة الخيّره فينا فانه عندئذ يمكننا بفضل الله أن نفرق بين حقيقة الأشياء وظواهوها عبر الزمان والمكان وعبر العقل.

٧٧ - هاروتنا وماروتنا

العلـــم والخيـــال هُمَّـــه فى الدنيـــا هاروتنـــا
وماروتنـــا يعلمونـــا أسرار كثيـــرة ويحذرونـــا
من عواقبها
وإخـــوان السوء إتعلموهـــا وظنـــوا أنهـــم بيهـــا
حينتصروا وما قدّروا الشر المختفى فيها
وكـــل مـــا اتوصلـــوا لـــه زائـــل وحيزيلهـــم
وحتشهـد عليهـم الأرض بالطغيـــان لمـــا تتحـدث
لباريها
ولـو كانـوا عـل الهَـدى لكـان عِلْمهـم وصَّلهـم
لخيـر البشر والـرضا لا لنـار السعيـر يـا ويـح
صاليها

....

يذكرنا الشاعر بقصة هـاروت ومـاروت اللذيـن عـاشا فى بابـل وكانت مركزا مشهورا لعلوم كثيرة وقد كانا رجلين صالحين عـاشا حياة شريفة وأوتيا مفاتيـح علـوم كثيـرة وكانـوا لا يضنـون بعلمهـم ولكن كانوا يحذرون من تعلـم منهـم مـن عـواقب هـذه العلـوم إذا إستعملت فى مجـالات الشر والجريمـة والفساد. ونحـن نقـرأ فى القرآن الكريم على أنهما كانا ملكين والمعـروف أن القدمـاء كانـوا يسمون الرجل الذكى البـارع فى العلـوم ملكـا. وبعـد ذلك بأزمـان بـدأوا يطلقـون أسم «الملك» على المـرأة الطاهـرة الجميلـة أو على الشاب الطاهر الجميـل ونذكـر فى سورة يـوسف وصف النسوة لـه

« .. ما هـذا بشرا إن هـو إلا ملك كريـم» (س ١٢ / يـوسف / آ ٣١).

وقد تعلمت بعض النفوس الشريرة من هاروت وماروت الكثيـر من العلوم ومنهـا علـم السحـر وإستعملوهـا لمصلحتهـم الشخصيـة وأغراضهم العدوانية والاجرامية. والشاعر يذكرنا أن الدائـرة ستـدور على كـل مـن أراد بـالبشر أو بالطبيعـة شرا وأنهـم سيذوقـون وبـال اختراعاتهم فى الدنيا والآخرة وستشهـد عليهـم الأرض بمـا اقترفـوه يوم الفصل عندمـا تتحـدث إلى بارئهـا كمـا جـاء فى سورة الزلزلـة (س ٩٩ / الزلزلــة / آ ١ – ٥).

ونحن فى عصرنا الحاضر نبهـر بالاختراعات ومـا توصلنـا إليـه من تفجيـر للـذرة والأسلحـة الحديثـة والصواريـخ وحـرب النجـوم والغازات القاتلة والملوثة للأجواء ولطبقة الأوزون العازلـة والهنـدسة الوراثية «التلاعب بالجينات» وطفل الأنبوبة وحبوب إسقـاط الجنيـن وقد غَّرتنا هذه العلوم وفتنتنا فنسينـا الميثـاق ونسينـا آيـات الله وتبـع ذلك تدهور الأخلاق وإنطلاق الغرائز الحيوانية وإثارتها بالمخدرات والدعايات ووسائل الاعلام وكسب أولو السوء الأمـوال وعاثـوا فى الأرض فسادا وطغيانا تحت شعارات واهية ودعايات خاطئة كاذبـة، وهؤلاء هـم العمى فى الدنيـا والآخـرة الذيـن وصفهـم الله فى قولـه «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكـا ونحشره يـوم القيامـة أعمى * قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * قال كـذلك

أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» (س ٢٠ / طه آ ١٢٤ - ١٢٧) فاللهم اهدنا سبل الخير ووفقنا إلى صالح الأعمال وآتنا البصيرة حتى نعرف ونتجنب المهلكات وحتى ترضى عنا يا أرحم الراحمين.

كان لأشعار الرومى تأثير بالغ فى محيط الأدب والفكر الغربى والعربى ونال شهرة واسعة.

إرتفع الرومى بالمعنى وصيّره شعرا - ينبه القلب الواعى ليُكوِّن بنفسه الصورة الكاملة للمعانى.

جاءت هذه الترجمة لشعر الرومى نتيجة لتفاعل المعانى المنبثقة من شعره مع إنسان جعل الله طريقه وغايته. فهى ثمرة إلتقاء روحين تحابا فى الله.

